ابن سعود على المسرح العالمي
١٩٤٥ - ١٩٥١

(١)

ليزلي مكلولين

بعدة ترجمات من الإنجليزية إلى العربية

راجع النص العربي ، وقدم له، وعلق عليه ، وقارن بين الترجمات العربية

أبوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري*

توطئة :

قال أبو عبدالرحمن : هذا البحث هو الباب العاشر من كتاب عن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بعنوان «ابن سعود مؤسس مملكة» ألفه ليزلي مكلولين، وصدر بلغته الإنجليزية عن سلسلة سانت إنتونيز / مكميلان ؛ وعنوان المؤلف كلية سانت آنتوني / أكسفورد ، ألفه أثناء حرب الخليج .

قال أبو عبدالرحمن: ومنذ شعرت بقرب صدور الموافقة السامية على منحي امتياز مجلة الدرعية : أخذت على عاتقي أن تكون نواة لمؤسسة علمية عن تاريخنا المحلي تقوم بالترجمة، والتحقيق ، والتأليفات المبتكرة ، والإحصاءات الببليوجرافية ، وابتدأت الترجمة على حسابي الخاص، وكانت البداية بهذا

* محمد بن عمر بن عبدالرحمن العقيل .
- ماجستير من معهد القضاء العالي في التفسير ، وله مشاركات عديدة في التأليف والمقالة والإذاعة.

الكتاب لما قرأ عليَّ بعض العارفين باللغة الإنجليزية أسماء فصول الكتاب ؛ فعهدت بترجمته إلى شركة الفؤاد للترجمة بالقاهرة، وقام بالترجمة مدير الشركة الأستاذ أيمن فؤاد حسن ؛ فلما اطلعت على الترجمة ذهلت لما فيها من تحريف وتصحيف للأعلام الآدمية والمكانية ، وأسلوب غير مشرق ، وأخطاء إملائية ونحوية ؛ بل أعظم من ذلك أن المؤلف ينقل إلى الإنجليزية نصاً عربياً من مثل كتاب الزركلي ، وعند ترجمة الكتاب إلى العربية وجدت نص الزركلي تحول إلى نص آخر غير النص الذي نعهده في كتاب الزركلي ؛ فعهدت بمراجعة الترجمة إلى مؤسسة الأهرام ؛ فأصلحوا أموراً كثيرة ، وأعيدت المراجعة إلى المترجم الأول «شركة الفؤاد» ، فأعادوا الترجمة والصياغة ، وأخذوا بالمراجعة ، وسلموني الصياغة النهائية مع إقرار تعهُّدٍ نصه : «إن الترجمة صحيحة دقيقة للكتاب الأصل، وإن كل ما تحتويه من معلومات مطابق في المعنى تماماً للأصل الإنجليزي دون تحريف أو تغيير أو تبديل» .

قال أبو عبدالرحمن : ولما شرعت في تحقيقه وجدته - على الرغم من كل ذلك الجهد - لا يخلو من الأخطاء والتصحيفات ، ولكن هوَّن الأمر أنني وجدت الكتاب صادراً بالعربية عام ١٩٩٥م بترجمة تجارية للدكتور محمد شيا صدر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ببيروت ، وهذه الترجمة تلاعبت بالنص، وكانت مفعمة بالأخطاء والتحريف والتصحيف، والبعد ببعض النصوص عن دلالتها؛ فرأيت أن أنشر ترجمتي شركة الفؤاد ومؤسسة الأهرام المدموجتين اللتين كانتا على حسابي ، وأن أحقق مادة النص المترجم ، وأن أستأنس بترجمة الدكتور محمد شيا حيث لا يكون ثمة تعارض ، وأن أذكر في الحاشية نبذاً من

ترجمة الدكتور شيا تغاير في المعنى ، أو تزيد ، أو تنقص ؛ مع يقيني بأن ترجمتي الفؤاد والأهرام خير من ترجمة دكتور شيا في الجملة .

وبدأت بالباب العاشر لأهميته .

وكان المؤلف وضع تعليقاتِ كلِّ بابٍ ملاحقَ آخر الكتاب ، وتلك طريقة أوربية سيئة وإن استحسنوها هم .

وإذا صدَّرتُ الحاشية بقال أبو عبدالرحمن فالتعليقـة من قبلي ؛ فإن كانت التعليقة صامتة فهي للمؤلف .

وإذا قلت : «في الأصل» فالمراد ترجمتا الفؤاد والأهرام .

وترجمتا الفؤاد والأهرام أهملتا التعليقات على الأبواب آخر الكتاب ؛ فاعتمدت على ترجمة الدكتور شيا على علاَّتها ! .

وكلما فرغت من تحقيق باب على النحو الذي ترونه في هذا الباب عهدتُ بالعمل إلى كفاءة سعودية ذات تمكن في اللغة الإنجليزية وخبرة بتاريخنا المحلي؛ لتطلع على الأصل الإنجليزي، وترجمات الفؤاد والأهرام والدكتور محمد شيا، وتعليقاتي ؛ ليصدر النص محققاً، مطابقاً للأصل ، بلغة مبينة، ثم يكون - إن شاء الله - جميع هذا الكتاب من الكتب التي تصدر عن الدرعية .

وحسبي في هذه العجالة كليمة عن أعباء الترجمة ، أعباء الترجمة التجارية ، والترجمة العلمية؛ فالترجمة التجارية أقرب مقدور عليه، وهي ترهق المحقق الذي لا يحسن غير اللغة المنقول إليها ؛ وبعد ذلك لا يثق بأنه ساعد في إيصال النص الأجنبي كما هو ، والسبب في ذلك أن المترجم غير ذي خبرة بالمادة؛ فإن كانت لغته الفصحى ضعيفة - نحواً، ورسماً، ومتنَ لغةٍ، وبلاغة - فذلك أسوأ للترجمة .

وأما الترجمة العلمية فهي أعز مفقود ؛ لأن من شرطها أن يكون المترجم لغوياً فناناً في اللغتين - المترجم منها، والمترجم إليها-، وأن يكون متمكناً من المادة المترجمة، مستولياً عليها ، وأعني بالفنان أن يؤدي بأسلوب جمالي بليغ.

وهذا الصنف من العلماء الأدباء المترجمين يعملون عن عشق لا للتجارة ، وإن استجابوا - لنخوة ، أو حاجة - فلا يتحركون إلا ببطء ؛ إذن الترجمة التجارية ضرورية حتى ينبري للعمل عشقاً وغيرة من يشفق عليه .

قال أبو عبدالرحمن : وأما أهمية هذا الباب ؛ فلأنه إشارة تلقائية إلى الوعي السياسي المحنك لدى عبدالعزيز ، هذا الملك الذي يبدئ نصنا المترجم ويعيد عن بدويته ، وغلبة العامية في كلامه إلى حد أن قال : ترجم يا عزام ، والمخاطِب له ملك عربي هو فاروق ! . ولا بدع في ذلك ؛ ففاروق أيضاً يتحدث بلهجة محلية ! .

وأهم مافي هذا الباب موقف الملك عبدالعزيز المشرِّف من قضية فلسطين بوضوح لا يعرف المراوغة والمزايدة مع قطبي الزعامة العالمية آنذاك : روزفلت ، وتشرشل .

وليس من العبث، ولا من المجاملة قول روزفلت عن عبدالعزيز : «إنه لخص لي في خمس دقائق، وبوضوح مالم يجده في كل المذكرات والأدبيات التي تناولت المسألة» ، والسر في ذلك أن مصادر روزفلت تدبيجات صهيونية - وقع هو في حبائلها - تعتمد التضليل في البدهيات ، وعبدالعزيز يتحدث بفطرته عن واقع منظور ، وتاريخ غير مغمور .

وعبدالعزيز في كل مرة (يبدأ فيها روزفلت الحديث عن تهجير اليهود إلى

فلسطين متجاهلاً جوابه له) يرده إلى ما شرد عنه : من أن العرب الضعفاء ، وفلسطين الصغيرة الفقيرة لا يتحملون أي ظلم وقع على اليهود - بزعمٍ ، أو بمبالغة - من أي أوربي ، أو مسيحي ، أو نازي ؛ وفي النهاية احتد عبدالعزيز محتجاً على إصرار روزفلت على تجاهل هذه الحقيقة ، واستمر عبدالعزيز ينافح عن مبادئه في رسائله المتبادلة مع زعماء أمريكا .

ولقاء عبدالعزيز لتشرشل - ركن الصهيونية الأشد - حقيقة لا ريب فيها ؛ وما ورد من تحشياتي عن الزركلي وغيره من القول : بأن قضية فلسطين لم تبحث مع عبدالعزيز هو قول الجمهور ، وكان أحد مرافقي تشرشل ألح عليه بأن لا يصرح بقضية فلسطين ؛ بينما يذكر تشرشل أنه بحثها ، وأن عبدالعزيز وصفه بالوقاحة .

قال أبو عبدالرحمن : لا ريب أن تشرشل علم أن روزفلت ـ وهو أهم عند عبدالعزيز من تشرشل - يئس من عبدالعزيز في هذه المسألة ، فتظاهر تشرشل عند الصهاينة بأنه طرح القضية حتى لا يتهم بالتقصير، وعلى فرض أن القضية طُرحت - على أن الزركلي أصدق من تشرشل - فستكون لهجة عبدالعزيز أعنف، وكيف لا تكون لهجة عبدالعزيز أشد وهو قبل اللقاء يذكي في روزفلت روح مبادئه، ومن ضمنها مقاومة الاستعمار في أي بلد؟! ؛ بل منذ ذلك العهد بدأت بريطانيا - بإجماع دولي - تشهد تهاوي سلطانها الاستعماري.

وكان روزفلت ينتظر من عبدالعزيز أن يبدأ الحديث ، وأنه ربما كان له رغبة في معونة مالية وشبهها، ولكن الملك لم يبدأ الحديث ؛ لأنه مدعو من روزفلت، وفي ضيافته ، والداعي هو صاحب الحاجة ، ولما بدأ روزفلت الحديث عن تهجير اليهود إلى فلسطين، ويئس من زحزحة عبدالعزيز عن موقفه المنطقي

العربي الإسلامي : تحركت أطماعه إلى أجزاء من الجزيرة العربية ؛ فأبى عبدالعزيز - من منطلق جبلته العربية، وتربيته الإسلامية ، وواجبه الديني، وأمانته لأمته - إلا عقد تبادل المنافع المتكافئ الذي تعتدل به مصلحتا الطرفين كما سيأتي في تحشيتي بنصوص عن الزركلي ، وجوهر مبادئ الاتفاق سلامة الرقعة والأمة ، وتقرير حقيقة أن هذه الرقعة لم تقع في قبضة احتلال أجنبي ألبتة .

وعبدالعزيز حقق كل ما أراده من جلب المصلحة لأمته ، والحفاظ على شرف تاريخه لصالح الأمة والوطن ، واستجلب محاوره الزعيم العالمي روزفلت بذكاء فطري ، يذكِّره بأنهما يجب أن يكونا صديقين تجمعهما مبادئ لا حلف دنس ؛ فهو يذكِّره بأنه عدو الاستعمار في أي بلد ، وعبدالعزيز يبارك له هذه الخطوة ، ويذكره بأنه صاحب الحريات الأربع [1] ، إذن ليكن أي تحاور أو اتفاق بيننا في ضوء هذه المبادئ النبيلة التي تبنيتها يا روزفلت !! .

وتضمن ما حققته من هذا الباب حديثاً عن فيلبي ، وهو رجل اختلفت فيه الآراء بين طرفين متباعدين : من رجل استعماري يعمل لصالح الاستعمار

(١) جاء في موسوعة السياسة ٢٤١/٢ : «الحريات الأربع : اصطلاح استخدمه الرئيس الأميركي فرانكلن روزفلت في خطابه إلى الكونغرس في ٦ كانون الثاني ـ يناير ١٩٤١م ، وذلك في معرض الإشارة إلى أشكال الحرية التي ينبغي أن تؤمن لكل مواطن ، وهي :
حرية التعبير، وتشمل حرية الكلام والكتابة والصحافة والنشر، وما يقوم مقامها من وسائل التعبير .
حرية العبادة أو العقيدة ، وهي حق الأفراد في اعتناق العقيدة أو الدين الذي يؤمنون به، وممارسة شعائر العبادة المرتبطة به .
حرية التحرر من الحاجة .
ثم حرية التحرر من الخوف .
وقد تضمن ميثاق حلف الأطلسي الذي أعلن في ١٤ آب - أغسطس من العام نفسه هذه المبادئ» .

والصهيونية ، إلى خائن لبلاده بريطانيا وأمته لأطماعه الشخصيـة ، إلى قول معتدل يرى أنه بريطاني لا يُشك في ولائه لأهداف أمته ، ولكنه دخل الإسلام على بصيرة ، ومات مسلماً صادقاً .

ومهما كان القول في فيلبي فالملك عبدالعزيز مع أهل الرأي الثالث ، ومع ذلك كان يتعامل معه بتحفظ - كما سيأتي في إشارات النص المترجم - ؛ وليس عبدالعزيز بالخب ، ولا الخب يخدعه ؛ وقد أذاع الملك عبدالعزيز بآخرة للعامة : أن فيلبي صديق ، وذو علاقة تجارية ، وأن آراءه السياسية هي آراؤه الشخصية ، وما كانت هذه الإذاعة ذات باطن غير ظاهرها ، بل كان فيلبي يسجل في كتبه التاريخية آراءه الفردية في الدولة السعودية ورجالها ، وليست مما يوافق عليه عبدالعزيز ، وينشرها عربياً وأجنبياً، ولا يعكر ذلك على علاقته بعبدالعزيز ، وعبدالعزيز يستشيره ، ويستخبره ، ولا يمضي إلا وفق المبادئ الكريمة التي صمم على إقامة دولته وفقها .

* * *

النص المترجم :

« يسعدنى أن أصرح بأن أغلب رجالي من سوريا » [1] .

«ليست المشكلة في الآخرين ، لكنها تكمن فيَّ شخصياً ؛ لو خيرت

(١) ابن سعود ١٩٤٦ / حديث موجه للوفد السوري / زركلي ص ١٢٣٧ .

وفي الأصل «زيركلي» .. ترد هكذا دائماً .. وفي ترجمة د محمد شيا : من الرزمكي .

قال أبو عبدالرحمن : هذه جملة من كلام الملك عبدالعزيز الذي ورد فيه النص المذكور من كتاب شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز لخير الدين الزركلي/ دار العلم للملايين ببيروت/ الطبعة الخامسة عام ١٩٩٢م ٣/١٢٣٧ - ١٢٣٨ : «إن السوريين وقعت على كواهلهم معظم مصائب الحرب والجهاد ==

لتمنيت أن يأتي يوم القيامة الآن» [1] .

«يعتبر الملك الآن الولايات المتحدة الأمريكية القوة العالمية الوحيدة التي

== في سبيل العرب والعروبة .. وعندما وقعت أنا في بعض المصاعب وجدت منهم العون والمساعدة ؛ فأنا أحبهم ، ويسرني القول : إن جُل رجالي هم مـن السوريين ؛ فإن وجدتم في البلاد مصلحاً فالتفوا حولـه، ما دام يحب العدل ويعمل لـه ، عليكم بالتضامن . هذه نصيحتي، وهذا رأيي أوجهه للعرب عامة ، ولكم يا أهل سورية خاصة» .

(١) ابن سعود في الرياض عام ١٩٤٨م ؛ وجه هذه الكلمات لفيلبي / السعودية العربية ص ٣٥١ .

قال أبو عبدالرحمن : والعجب العجاب في ترجمة الدكتور شيا ، قال : «حول الموت / ابن سعود إلى فيلبي من فيلبي العربية السعودية ص ٣٥١» .

وجاء النص عنده هكذا : «الغلطة ليست في الآخرين ، وإنما في داخلي؛ لو كان في طاقتي أن أختار لكنت طلبت يوم الدينونة اليوم» .

قال أبو عبدالرحمن : هاهو النص وما قبله من سياق كما أورده فيلبي في كتابه تاريخ نجد ص٥٤٥/ نشرة مدبولي (وهي طبعة مشوهة لترجمة عمر الديراوي ، وسمي في هذه الطبعة عمر الديسراوي ؟!!): «كان ابن سعود في هذا الوقت مقتنعاً تماماً بأن الدول الكبرى تسير بخطى واسعة نحو حرب عالمية ثالثة ؛ فكان هو نفسه يرى ذلك واضحاً ، يرحب به كنتيجة حتمية للعداوة التي تكنها الدول الغربية للعالم الشيوعي ، ومرة أخرى لم يخف التزامه جانب الغرب ، وعلى الأخص أمريكا وبريطانيا (وإن كان لم يعرف سبباً لترددهما في محاربة العدو في الوقت الذي تتفوقان فيه تفوقاً ساحقاً في الأسلحة الذرية) .. ولم يجد في استخدام هذه الأسلحة الفتاكة في قتل كافة السكان أمراً يخالف الأخلاق ؛ فقد قام الإنسان بمثل هذه الأعمال والإجراءات الضرورية في كافة عصور المدنية ، واعتبر ظهور الشيوعية وأدوات التدمير الجماعية دليلاً على نهاية المدنية ، وتحذيراً إلهياً على اقتراب يوم الدينونة .

وقد عبر عن رغبتة في أن تقوم الساعة في حياته في مناسبة أخرى جرت سنة ١٩٤٨م؛ إذ كان يقول: من كان يظن بأني سأعيش حتى أرى انتشار المشروبات والعلاجات في الرياض في الوقت الذي كنا نحرم فيه التدخين ، ثم قال بحرارة : ليس الخطأ [خطأ] الآخرين بل خطأي ؛ لو قدر لي أن أختار لاخترت قيام الساعة في هذه اللحظة» .

قال أبو عبدالرحمن : ومع هذا لا أثق بأن الترجمة أدت كلام عبدالعزيز كما هو ، أوأدت مراد فيلبي كما هو .

==

نستطيع الاعتماد عليها ، لا يستطيع أن يعتمد الآن على بريطانيا ؛ للاحتفاظ بالهاشميين على الخط» [1] .

في بداية عام ١٩٤٥م بلغ ابن سعود ٧٠ عاماً ، وخلال هذه الفترة حتى عام ١٩٥١م تدهورت صحته بشدة ؛ ومن المؤسف أنه خلال تلك الفترة واجهتْ هذه الدولة الشاسعة التي تشمل أغلب مساحة الجزيرة مشكلات كبيرة : مثل مواجهتها للقوى الخارجية ، وتكييفها لذلك الثراء الطائل ، ومشكلة تكوين نظام إداري سليم لمواجهة هذه المواقف ، وفي الخارج اندلعت ثورات عنيفة في الدول المجاورة مثل اليمن ، وفلسطين ، ولبنان ، والأردن ، وسوريا ، والعراق[2]. وقد كانت مصر مشغولة في الصراع المسلح ضد الوجود البريطاني الذي أدى إلى اتفاقية الجلاء من مصر في عام ١٩٥٤م ؛ وفي منطقة الخليج

= والمتوقع أن النص عن أمنية عبدالعزيز أن تدمر الشيوعية ؛ لأن أهل الكتاب أقرب إلى وجدانه من جاحدي الإله والنبوات والأديان .

وليس بصحيح أن عبدالعزيز لا يرى في استخدام الأسلحة الفتاكة في قتل كل السكان ما ينافي الأخلاق ، وإنما مراده أن ذلك امتداد للسنة الكونية ؛ بدليل آخر الكلام ؛ فإما أن يكون فيلبي أخطأ مراد عبدالعزيز ، وإما أن يكون المترجم أخطأ مراد فيلبي .

ومن المؤكد أن كلمة «العلاجات» خطأ ، وإنما المراد شراباً محرماً من الخمور ؛ يريد عبدالعزيز سيرة أجداده ، وسيرة السلف الصالح قبلهم حيث لا دخان ولا خمور ، ويتمنى أن يقيم دولة لا يتسرب إلى مجتمعها رذائل المدنية الغربية ؛ فيرى مالا يسره ؛ فيتمنى الموت !! .

(١) برقية من السفير تشايلدز إلى إدارة الدولة في ٣ يناير ١٩٥٠م في كتاب ابن الرشيد/ الصراع بين أميرين.
وفي ترجمة شيا : برقية من السفير شيلدز إلى وزارة الخارجية ٣ كانون الثاني ... إلخ .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : يصعب تتبع المقارنة مع ترجمة الدكتور شيا ، فهو يقلب المعنى رأساً على عقب، ومن النموذج ترجمته للسطرين السابقين بما يلي : «... وإلى ذلك فقد كانت هناك حالة نهوض قوية في بلدان الجوار ، في اليمن وفلسطين ولبنان والأردن وسوريا والعراق» .
قال أبو عبدالرحمن : أين النهوض المشعر بالثقافة والحضارة من الثورة المشعرة بالحرب والدماء ؟! .

اصطدمت السعودية مع بريطانيا بسبب مشكلة الحدود في المناطق الشرقية للمملكة ، وكانت إيران تقترب من أزمة محاولة تأميم صناعة البترول ؛ أما على الصعيد المحلي فقد كان الملك يواجه مشكلة إيجاد نظام إداري سليم ؛ لمواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والمالية الناتجة عن تدفق دخل البترول الذي كان أكثر من ٥٠ مليون دولاراً في عام واحد فقط خلال عام ١٩٥٠م [١] ؛ وكانت شكواه لفيلبي في عام ١٩٤٨م بشأن الأوضاع في الرياض دليلاً على إحساسه بتفاقم المشاكل في هذه الفترة .

ومن الخطورة أن نعتبر ذلك الملك العظيم غير قادر على التعامل مع مشاكل بلاده ، فقد حقق في هذه الفترة ما نستطيع أن نعتبره أعظم انتصاراته؛ فقد استطاع أن يوقع مع أرامكو في أواخر الخمسينات اتفاقية بمناصفة الأرباح الناتجة عن البترول السعودي .

وقد بدأ عام ١٩٤٥م بزيارة الملك فاروق للسعودية [٢]، وتقابل الملكان في

(١) قال أبو عبدالرحمن : في ترجمة الدكتور شيا : «والتي ستزيد سنة ١٩٥٠م على الخمسين مليون دولار في العام الواحد» .

قال أبو عبدالرحمن : شتان ما بين المعنيين في الترجمتين .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : ترجمة الدكتور شيا جاء ت بهذا النص : «ربما قاد هذا الكلام إلى أن الملك كان عاجزاً كلياً عن الحكم ، وأنه انسحب إلى حال (من بعدي الطوفان) .. لكن الحقيقة هي أننا سنجد أدلة أخرى توضح الطريقة أو الطرق التي كان ابن سعود من خلالها قادراً على فرض حضوره في هذه الحقبة ؛ فقد توصل فيما يعتبر انتصاره الأكبر إلى الحصول من أرامكو في أواخر العام ١٩٥٠م على اتفاق المناصفة ٥٠/٥٠ لعائدات إنتاج النفط السعودي .

وفي كل الأحوال فإن العام ١٩٤٥م لم يبدأ واقعياً باللقاء الشهير مع فرانكين ديلانو روزفلت ووينستون تشرشل في مصر ، وإنما بزيارة الملك فاروق إلى العربية السعودية ؛ فقد التقى العاهلان في ينبع في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٥م لبحث التقدم الحاصل في تأسيس ما يسمى بعد ذلك «بجامعة الدول العربية» أو الجامعة العربية ، والتي أنشئت في آذار ١٩٤٥م» .

ينبع [1] في ٢٥ يناير ١٩٤٥م، لمناقشة إقامة جامعة الدول العربية التي أسست في مارس ١٩٤٥م، وبذلك أصبحت المملكتان من الأعضاء المؤسسين لهذا الكيان الحيوي ؛ وقد أدى ذلك إلى مناقشات تمهيدية، ومناورات كثيرة قبل وبعد البيان الذي أصدره وزراء الخارجية العرب في الإسكندرية في أكتوبر من عام ١٩٤٥م . دهش ابن سعود لتشجيع بريطانيا لإنشاء جامعة الدول العربية ، لدرجة أن إيدن الذي رأس القوات البريطانية ضد مصر في ١٩٥٦م ظهرت صورته عام ١٩٤٥م على طوابع البريد المصرية ، حيث كان حينئذٍ رئيس الوزراء في بريطانيا ، ولم يتكرر ذلك مرة أخرى .

أعيدت العلاقات بين مصر والسعودية في ١٩٣٦م بعد أن خلف الملك الشاب فاروق والده ، حيث كانت العلاقات مقطوعة بين البلدين بعد حادث المحمل في ١٩٢٦م ، تقارب البلدان مع تدفق البترول السعودي ؛ حيث تدفقت السياحة والاستثمارات السعودية إلى مصر ، كما قامت مصر بإمداد السعودية بالقوة العاملة المتعلمة ؛ لسد حاجتها المتزايدة للتطور ؛ كثرت المناقشات حول التواجد البريطاني في مصر خاصة بعدما أن بدأت فرق المقاومة نشاطها في ١٩٥٠م تقريباً ، كانت المساعدات لمصر لمقاومة القوات البريطانية موضوعاً

(١) راجع زركلي / مرجع سابق ص ١١٥١ .

قال أبو عبدالرحمن : في الأصل ينبو ، وهذا نص الزركلي في كتابه شبه الجزيرة ١١٥١/٣ : «في سهل منبسط بين شَرْم ينبع وجبل رضوى يوم ١٠ صفر ١٣٦٤هـ ١٩٤٥/١/٢٥م أقيمت من خلال ثلاثة أيام مدينة كاملة من الخيام بسرادقات الجلوس والنوم، والفُرش الوثيرة والمقاعد الضخمة الفخمة ، تتلألأ الأضواء في كل جانب منها .. نُقل كل ذلك إلى هذا السهل الأجرد محمولاً من بلدان بعيدة يصحبه جيش من العمال ، وعدد من المهندسين والإخصائيين بالإضاءة ، وتوزيع المياه، وتنظيم الحُجر، وتنسيق المفارش .. حيث قابل الملك عبدالعزيز ضيفه فاروقاً آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي».

مطروحاً ، خاصة مع تزايد خلافات السعودية مع بريطانيا حول موضوع البريمي [1] .

شعر الملك فاروق بالإهانة الشديدة عندما قدم إليه السفير البريطاني في فبراير ١٩٤٢م إنذاراً بشأن اختيار رئيس وزراء مصر ، وأحاطت الدبابات الإنجليزية قصر الملك في القاهرة [2] ؛ لذا طالت المناقشات السرية بين ابن سعود والملك الشاب حول هذا الموضوع ، وكانت في اجتماع يناير ١٩٤٥م ، حل الملك ابن سعود مشكلة لهجته البدوية باستعانته بالسكرتير العام [3] لجامعة الدول العربية للترجمة ، وكان يقول له : «ترجم يا عزام» .

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : في الأصل : بورامبي .

ونص ترجمة د / شيا مايلي : «وقدم البريطانيون (وسط دهشة الجميع وحيرتهم ، وليس ابن سعود وحده) كل الدعم والتشجيع لتأسيس الجامعة ، ونتيجة لذلك غدا أنطوني إيدن (وهو الذي قام بعد ذلك بشن الهجوم على مصر سنة ١٩٥٦م) . غدا أول رئيس وزراء بريطاني ، وغدا الوحيد الذي وضعت صورته سنة ١٩٤٥م على الطوابع البريدية المصرية .

كانت العلاقات بين مصر والسعودية قد استؤنفت سنة ١٩٣٦م مع تولي الشاب فاروق عرش مصر خلفاً لوالده ، وبعد حقبة طويلة من القطيعة الفعلية تلت حادثة المحمل سنة ١٩٩٢م [قال أبوعبدالرحمن : بل سنة ١٩٢٦م] ، وسيغدو البلدان بعد ذلك أكثر اتصالاً وقربى ، وذلك مع تنامي عوائد النفط السعودية : فقد كان هناك المزيد من السياحة السعودية ، والاستثمار التجاري السعودي في مصر، كما كان لدى مصر الكثير مما يمكن تقديمه إلى العربية السعودية (وبخاصة القوى العاملة المؤهلة لمواكبة حاجات التطور المتنامية) .. كذلك كانت مسألة الوجود البريطاني في حدود سنة ١٩٥٠م ، وكان يمكن أن يرد بسهولة إلى الذهن احتمال المساعدة السعودية للمقاومة المصرية للوجود البريطاني ، وبخاصة بعدما كان على السعودية أن تصطدم هي نفسها مع بريطانيا في النزاع حول البريمي».

(٢) قال أبو عبدالرحمن : نشرت الصحف آخر عام ١٤١٨هـ ملف الملك فاروق ، وبان أن بريطانيا تكيد له؛ لأنه على علاقة تأييد لهتلر وحلفائه .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : في ترجمة شيا : «الذي سيغدو أول أمين عام للجامعة العربية» .

وقد عبر جرافتي عن صعوبة فهم لهجته في ١٩٤٥م، حين قال : «لم أستطع فهم لهجته بسهولة ؛ حيث كانت خليطاً من اللغة العربية الفصحى واللهجة البدوية ، وكان صوته منخفضاً مما كان يزيد الأمر تعقيداً» [١] .

كان ابن سعود على الرغم من ذلك يكره وجود المترجمين ، ففي مارس ١٩٢٦م جلس بمفرده مع الألماني فاندرمولن ، وقال له : «نستطيع الآن أن نتحدث بمفردنا بدون هؤلاء المترجمين ، إنهم أخطر قوم في العالم ، وأكثرهم ضرراً» [٢] .

---

(١) غرافتي سميث/ مرجع سابق ص ٢٦٥ .

قال أبو عبدالرحمن : المؤلف جعل التعليقات آخر الكتاب ، وهذا من أسوأ المناهج التي قلدها العرب المعاصرون ، وأسوأ من ذلك الإحالة بكلمة «مرجع سابق» مع طول الفاصل .

والمراد كتابه «الشرق الأدنى» الصادر بلندن عام ١٩٧٠م .

ونص ترجمة د / شيا مايلي : «وإذا كان عربي يمتلك العربية (كملك مصر) لا يستطيع فهم ابن سعود: فإن الكثير من الدبلوماسيين والزوار الأجانب الذين يعرفون العربية : باتوا معذورين تماماً ؛ إذ أقروا أن أجزاءً كثيرة من أحاديث ابن سعود كانت تفوتهم ، أو يصعب عليهم فهمها ، ولم يكن غرافتي سميث سنة ١٩٤٥م أول أو آخر من يعترف بهذه الصعوبات اللغوية : لم يكن سهلاً عليَّ فهم عربيته .. إنها مزيج من الفصحى (التي أستطيع متابعتها) ، والعامية البدوية والقبلية (التي لا أجيدها) .. كما أن صوته لم يكن على نبرة واحدة ، وكثيراً من كلامه كان يقوله بما يشبه الهمس ، ولا يصل واضحاً إلى الأذن» .

(٢) راجع فاندر مولن . د . آبار ابن سعود / لندن ١٩٥٧م ص ٩٩ .

قال أبو عبدالرحمن : نص ترجمة شيا : «وليس من الصعب إذن تخيل المشاكل التي تواجه المترجم بين الملك وأحد زائريه ، ولعله (وبسبب هذه المشاكل) كان لابن سعود آراؤه القاسية في شر المترجمين الذي لابد منه ؛ ففي آذار ١٩٢٦م أَسَرَّ ابن سعود للهولندي فاندر مولن بعدما اجتمعا على انفراد : «الآن في وسعنا أن نكون وحيدين من دون المترجمين ، هؤلاء الأشخاص الأكثر خطراً وإيذاء في العالم» .

كان ابن سعود متحفظاً بشأن اللغة بوضوح مثل تحفظه من أشياء كثيرة أخرى مثل جيرترود بيل، أدوات المائدة الغربية، السياسة البريطانية الخارجية ، مشكلة فلسطين .. مدح ريد بولارد ثراء [١] معلومات ابن سعود في الشؤون الدولية ، إلا أنه كان شديد الحرص في نطق الأسماء الأجنبية ؛ لذا كان يتغاضى عن نطق بعض الأسماء المعقدة مثل تشيكوسلوفاكيا [٢] ، حتى الكلمات العربية التي كان يجد صعوبة في نطقها كان يتصرف بشأنها ؛ فكان يطلق مثلاً على خالد جرجاني [٣] لقب أبو وليد ؛ لسهولة النطق [٤] .

(١) في الأصل : شراء .

(٢) راجع بلارد ، مرجع سابق ص ١٩٧ . يستمر بلارد في امتداح خصال ابن سعود ، ويلاحظ أنه «متكلم جيد ، وأحاديثه مسلية ومركبة ، صحيح أنه يبدأ بتقسيم المسألة إلى ثلاث نواح ، ثم كل ناحية إلى أجزاء أخرى ، لكن ذلك لا يفقد حديثه السلاسة والتماسك نفسه» .

(٣) هكذا في ترجمة الأصل ، وعند د / شيا : الفرغاني .. قال أبو عبدالرحمن : وإنما هو القرقني .

(٤) راجع الزركلي / مرجع سابق ص ٣٩٩ .

قال أبو عبدالرحمن : ترجمة شيا كما يلي : «كانت مقاربات ابن سعود اللغوية مقاربات بسيطة ومباشرة .. مثلما هي مواقفه في مسائل عديدة من غرترود بل ، وأدوات الطعام الغربية ، إلى السياسة الخارجية البريطانية وفلسطين .. وفي حين أنَّ ريدر بلارد يمتدح معرفة ابن سعود الواسعة بالشؤون العالمية : لم يكن في وسعه إلا ملاحظة خصوصية لفظه لبعض الأسماء الأجنبية : فموسيليني يصبح ميسولوني .. في حين أن اسم تشيكوسلوفاكيا يقتضي قدراً من التقطيع ومساعدة حركات اليدين .. حتى الأسماء العربية إذا بدت عويصة اختزلها إلى ما هو أقصر وأيسر : فمستشاره الخاص خالد الفرغاني (من العراق) هو دائماً أبو وليد ؛ إذ بدا الاسم ثقيلاً على اللفظ» .

قال أبو عبدالرحمن : ونص الزركلي بكامل سياقه عن لغة الملك عبدالعزيز بكتابه شبه الجزيرة ٣٩٩/٢ - ٤٠٠ : «كان له ذوق في الأسماء .. اتصل بخدمته خالد القرقني (من مجاهدي طرابلس الغرب .. أصله من قرقنة أمام سفاقس في تونس) ، واستثقل الملك لفظ القرقني فدعاه بأبي الوليد ؛ فكان يقال له : خالد أبو الوليد .. إلى أن رزق غلاماً فسماه الوليد .

==

كان ابن سعود يهتم باللغة اهتماماً بالغاً ، ظهر ذلك أثناء اجتماعاته مع روزفلت وتشرشل في ١٩٤٥م ، حيث كان لديه نظام إداري فعال ، فقد كان المترجم [١] الذي حضر هذه المقابلة سعودياً متخرجاً من الجامعة الأمريكية ببيروت اسمه عبدالله أبا الخير ، وكان له دور بارز في محادثاته مع تشرشل .. أما المترجم الرئيسي في محادثات روزفلت فكان الكولونيل إيدي [٢] .

== وكان لا يجري على لسانه السكون في أواخر الأسماء المنتهية بالتاء المربوطة ، كمدحت ، وحكمت ، وطلعت ؛ فيجعلها هاء ساكنة : مدحه وحكمه ... إلخ .

قال حافظ وهبة : أملى عليَّ السلطان عبدالعزيز أول عهدي بالعمل معه مذكرة عن غزوات بعض عشائر العراق لعشائر نجد .. وبعد الانتهاء من الإملاء طلبت أن يمهلني كي أضع المذكرة في قالب عربي ، فاستشاط غيظاً ، وصاح في وجهي : وهل نحن عجم ؟ .

قال حافظ : وأوردت ما يلطف من حدته حتى ابتسم ، وأمكن إصلاح لغة المذكرة .

وروى حافظ وهبة أيضاً : أنه لما كان آخر ملوك مصر في زيارة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م في رضوى قرب ينبع : تعذر على الضيف أن يفهم كل حديث الملك عبدالعزيز ؛ لسرعته في الكلام ، واستعماله ألفاظاً من اللهجة النجدية .. وشعر عبدالعزيز بهذا ، فكان كلما تحدث قال لعبدالرحمن عزام : ترجم يا عزام ! » .

(١) راجع بيلاينكن . ج / مفكرة القاهرة / الرياض / لندن . ١٩٥٠م ص ١٣٥ .

(٢) سماه الدكتور شيا «محمد أبا الخير» .. وإنما اسمه عبدالله بلخير .. وهذه ترجمته لهذا النص : «وكانت اللغة من الأهمية بمكان في اجتماعات ابن سعود مع روزفلت وتشرشل ، وربما كان بعض الدليل على تطور جهاز الملك الإداري أنه كان قادراً سنة ١٩٤٥م على أن يكون له مترجمه السعودي الخاص محمد أبا الخير خريج الجامعة الأميركية في بيروت ، وقد قام هذا المترجم بدور بارز في المحادثات مع تشرشل .. بينما كان الكولونيل ادي المترجم الرئيسي في المحادثات مع روزفلت .

كان ادي يجري تحضيراته الخاصة للقاء ابن سعود في أكتوبر ١٩٤٤م ، وقد فاتح يوسف ياسين في الموضوع .. وافق الملك فوراً على الفكرة ، ووضعت الخطط في سرية قصوى ؛ فأمن الملك والرئيس لا يمكن ضمانه إلا على قاعدة من السرية التامة التي تقضي بألا يطلع على الموضوع إلا عدد محدود جداً من الأشخاص ، وإلى الحد الأدنى الذي لا مفر منه» .

كان إيدي مؤتمناً على خطط الاجتماع مع ابن سعود [1] في أكتوبر ١٩٤٤، وصرح بذلك ليوسف ياسين الذي عرض الأمر على الملك ، ووافق على الفكرة، فتمت ترتيبات الاجتماع في سرية تامة؛ لضمان سلامة الملك والرئيس.

في أوائل فبراير ١٩٤٥م تحركت سيارة الملك من الرياض إلى الحجاز ، اعتقد جميع المرافقين عدا يوسف ياسين أنهم متجهون إلى مكة ، في ١٢ فبراير علموا أنهم في طريقهم إلى [2] ... أصدر الملك تعليماته بأن يرافقه ٤٨ شخصاً ، وكان ذلك ضعف العدد الذي توقعه إيدي ؛ علماً بأنهم أكدوا عليه في واشنطن ألا يزيد عدد المرافقين على ١٢ شخصاً .

كانت الخطة تتضمن أن تُقِلَّ المدمرة الأمريكية «مورفي» المجتمعين إلى البحيرة المرة في خليج السويس حيث يستقبل الرئيس الأمريكي الملك على ظهر السفينة كوينسي ، وقد ذكر إيدي بعد سنوات من هذا الحدث أول تقارب بين التكنولوجيا الحربية الحديثة وبين الثقافة البدوية المتمثلة في ابن سعود ، أمر الملك بقطيعين من الخراف لرحلة اليومين من جدة لإطعام المسافرين معه .

يقص علينا الكولونيل إيدي الحديث الذي تم بين عبدالله سليمان وقبطان المدمرة حين قاموا بإنقاذ حياة ٩٣ من الخراف، وذبحوا سبعة خراف فقط لإطعام المسلمين اللحوم الحلال .

---

(١) الزركلي مرجع سابق ص١١٦٨.. يضع أولى الأفكار حول اللقاء في شباط ١٩٤٤م.. لكن ذلك غير مؤكد.
قال أبو عبدالرحمن : قال الزركلي في شبه جزيرة العرب ص ١١٦٨ : «قرأت مقالاً نفيساً للكولونيل وليم إدي الوزير الأميركي المفوض في ذلك الحين لدى المملكة العربية السعودية .. نشره سنة ١٣٧٣هـ /١٩٥٣م .. قال : في شباط ١٩٤٤م تلقيت إشعاراً يفيد أن الرئيس روزفلت يرغب في أن يقابل في طريق عودته من مؤتمر يالطة الملك عبدالعزيز ، وترك لي أمر تدبير ترتيبات هذه المقابلة ؛ لتتم تحت طي الكتمان الشديد ؛ حرصاً على سلامة الرئيس روزفلت» .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : هكذا في الأصل ، والصواب جدة كما في ترجمة د / شيا .

كان للملك كابينة خاصة مناسبة لمقامه الرفيع ، ومع ذلك كان ينضم إلى المرافقين له ، وينام معهم على ظهر الباخرة ، ويؤمهم في الصلاة .

بعيداً عن السفينة وداخل الأراضي السعودية كانت مهمة ابنه فيصل شاقة في تهدئة من حوله (وخاصة النساء)؛ حيث كان يعتقد الجميع أن أمريكا اختطفت ابن سعود ، ونجح فيصل بصعوبة بالغة في تهدئة الجو .

كان وفد الملك يضم شقيقه الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، وأولاده منصور، ومحمد ، ومستشاريه المقربين : يوسف ياسين ، وحافظ وهبة ، ورشاد فرعون ، وبشير سعداوي ، وعبدالرحمن الطبيشي ؛ وقد وصفهم زركلي بأنهم حاشية الملك [١] ، كما أشار بأنه كان مكلفاً بتأكيد تعليمات القبطـان بشأن قبلة الصلاة خمس [٢] مرات يومياً .

عبر ابن سعود عن دهشته بخصوص القوة الأمريكية المسلحة مثلما فعل في ١٩١٦م عندما رأى لأول مرة الطائرة البريطانية وأشعة إكس لعظام يده ، وعندما شاهد المدافع المضادة للطائرات ، وكيفية إصابة الأهداف البعيدة المدى : عبر عن شدة تقديره واحترامه .

اتخذ الأمريكيون جميع الإجراء ات اللازمة للترحيب بالملك، والحفاوة به، وأعدوا له مخبوزات مخصوصة للإفطار قدمها له مضيف أسود، لكنه رفض، وهمَّ يوسف ياسين ليأخذ من هذا الطبق بعد أن شجعه الملك قائلاً : «أنت ممتلئ الجسم، وتحتاج لمزيد من الطعام» .. إلا أن المضيف رجع للخلف بذكاء، وأخبره أن ذلك الطبق معد خصيصاً للملك [٣] .

---

(١) الزركلي / مرجع سابق ص ١١٦٨ .

(٢) في الأصل : خمسة ، ولعل المراد تأكيد الملك عبدالعزيز على القبطان بمعرفة جهة القبلة .

(٣) الزركلي / مرجع سابق ص ١١٧٦ .

عرضوا على الملك فيلماً تسجيلياً عن مغامرات ناقلة طائرات أمريكية في الباسفيك ، وقد شاهد هذا الفيلم بتحفظ ، وقال : إن شعبه لا يحب أن يرى مثل هذه الأشياء ؛ لأنها ستشغلهم عن أداء فروضهم الدينية [1] .

---

(١) المصدر نفسه .

قال أبو عبدالرحمن : هذه ترجمة الدكتور شيا للنص : «وفي مطلع شباط ١٩٤٥م ، انطلق موكب الملك من الرياض باتجاه الحجاز ، وكان الكل يعتقد (عدا يوسف ياسين) أن وجهتهم هي مكة ، وفي ١٢ شباط تركت المجموعة آخر مخيم استراحة لها في ساعات الصباح الأولى ، وجرى إعلامها في الدقيقة الأخيرة أن قسماً من المجموعة لن يتجه إلى مكة ، وإنما إلى ميناء جدة ؛ كانت تعليمات الملك تقضي بأن يصحبه فريق من ٤٨ شخصاً ، أي ضعف العدد الذي توقعه أدي ، رغم أنه كان قد تلقى من واشنطن أن يؤكد للسعوديين أن العدد الأقصى يجب ألا يتجاوز ١٢ شخصاً .

كانت الخطة تقضي أن تتولى المدمرة الأميركية «مورفي» حمل ابن سعود وفريقه إلى البحيرة المسرة [قال أبو عبدالرحمن : بل هي المرة] الكبرى في خليج السويس .. حيث يستقبل الرئيس الأميركي ضيفه على ظهر حاملة الطائرات كوينسي .. وينقل إدي بعد سنوات وقائع أول لقاء موثق بين التكنولوجيا الحربية الحديثة ، وثقافة البدو المتمثلة في ابن سعود .. وبوجود هذا العدد الكبير الذي يرافقه ، وكي يقوم الملك بواجب الضيافة : أصدر أوامره فحُضِّر قطيع من الغنم يكفي لرحلة يومين من جدة إلى السويس .

لا داعي للاسترسال في تفاصيل المفاوضات التي شارك فيها إدي مترجماً بين عبدالله سليمان وقائد المدمرة ، والتي انتهت إلى إنقاذ ٩٣ رأس غنم من الذبح المحتم ، واكْتُفيَ بسبعة خراف ذبحت وفق الأصول ، أي ذبحاً شرعياً يجعل أكلها حلالاً وفق تقليد المسلمين .

كان الملك في السفينة قد أعطي كابينة تليق بالمقام ، إلا أنه فضل الانضمام إلى أفراد فريقه في النوم على السطح ، وفي مشاركتهم كذلك أداء الصلاة في اتجاه مكة في أثناء ذلك ، وفي عوده إلى البر كان فيصل ابن الملك يواجه صعوبة بالغة في تهدئة الجمهور (وخاصة نساء الأسرة اللواتي كن في الموكب ، ثم رأين الملك يختفي فجأة خلف أفق البحر ؛ فسرت في جدة شائعة خطف الأميركيين لابن سعود ، ولكن الهدوء استعيد بسرعة ، وضم فريق الملك شخصيات رئيسية مثل شقيقه الأمير عبدالله بن عبدالرحمن ، وابنيه منصور ومحمد ، ومستشاريه الأقربين يوسف ياسين ، وحافظ وهبة ، ورشاد فرعون ، وبشير سعداوي ، وعبدالرحمن طبيشي ، وآخر حدده الزركلي بوصفه أحد أفراد حاشية الملك ، ومن مهامه إرشاد الملك في أثناء عملية الإبحار إلى جهة مكة كيما ==

....

== تكون الصلوات الخمس صحيحة ، أبدى ابن سعود على متن المدمرة الأميركية اهتماماً وفضولاً بالسلاح الأميركي الذي يلتقيه للمرة الأولى تماماً مثلما فعل سنة ١٩١٦م عندما شاهد لدى البريطانيين الطائرة للمرة الأولى ، وجرى تصوير يده بأشعة إكس ؛ قدمت للملك عروض حية للمدافع المضادة للطائرات، والتكنولوجيا المضادة لأهداف الأعماق، والتي لقيت جميعها تقديره وثناءه .

عمل الأميركيون كل ما في وسعهم لإظهار حسن وفادتهم واحترامهم للملك ، ومن ضمنها إعداد طعام خاص للفطور ، وحين قدم خادم أسود الفطور هذا للملك (وهو المعروف بأكله الخفيف) : اعتذر الملك ، فتقدم يوسف ياسين القريب منه ليقوم بالواجب بتشجيع مـن الملك الذي قال له : «أنت سمين وتحتاج إلى طعام أكثر» .. لكن الخادم سحب الصينية بأدب قائلاً ليوسف ياسين : «لا .. هذه خصيصاً للملك ، وليس لأحدٍ سواه» .

وعرض أمام الملك على سطح المدمرة فيلم وثائقي حـول مغامـرات القاذفات الأمـيركية في الباسيفيكي ، ولعله أول عرض فيلم يحضره الملك .. كانت ردة فعله الشخصية متحفظة ، لكن كان حاسماً في أن مثل هذه الأمور يجب ألا تعرض أمام شعبه ؛ لأنها لن تؤدي إلا إلى صرفه عن واجباته الدينية» .

قال أبو عبدالرحمن : نصوص الزركلي كما يلي .. قال في شبه الجزيـرة ص ١١٦٨ ـ ١١٦٩ : «كنا لا نزال في حرب مع ألمانيا ، وكانت الطائرات الألمانية لا تزال تقصف القاهرة وقناة السويس بين الفينة والأخرى بقنابلها .. ولعله لن يكون هناك هدف أكثر استهواء لقاذفات القنابل الألمانية من طـراد يرسو في البحيرة المرة في قناة السويس، وعلى ظهره الرئيس روزفلت والملك ابن سعود .

من أجل ذلك كتمنا أمر الاجتماع ، ولم يعرف عنه سوى خمسة أشخاص في المملكة العربية السعودية ، هم العاهل السعودي ، ووزير خارجيته بالنيابة الشيخ يوسف ياسين ، وكاتب الشيفرة في المفوضية الأميركية بجدة ، وأنا ، وزوجتي .

وعلى هذا النمط سارت الترتيبات في جو من الكتمان ؛ فقبل أيام من المقابلة جاء العاهل السعودي وحاشيته إلى جدة في زيارة تقليدية لاستقبال أعيان الحجاز ، وتوزيع الصدقات على الفقراء .

وقبيل أسبوع من موعد سفر العاهل أعلنا أن المدمرة الأميركية «مورفي» ستزور جدة زيارة ودية أثناء مرورها بالبحر الأحمر ، وقد أثار هذا الإعلان بعض التعليقات ؛ لأن السفن الأميركية الحربية ما اعتادت زيارة جدة قبل ذلك الحين ، ومع ذلك لم يتسرب الشك إلى أحد في الغاية .

وفي صبيحة اليوم الذي سبق رحيل العاهل السعودي ، أي في ١١ فبراير ١٩٤٥م نزل قائد المدمرة الكومودور كتيمنغ إلى البر ؛ ليقدم فروض الاحترام مع مساعده الكابتن سميث إلى الملك دون ==

....

== أن يثير ذلك أية شائعة في بلد كجدة تسري في أسواقه الشائعات والأخبار سريان الكهربا ء .

وكان ذلك دليلاً ملحوظاً على نجاحنا في المحافظة على سر الاجتماع ، ولعل كون العاهل السعودي لم يغادر بلاده ولا مرة (حتى لزيارة ملوك الأقطار المجاورة) قد جعل الناس يستبعدون التفكير في إمكان خروجه من بلاده .

ثم إن روزفلت قد ساعدنا على تعمية «الأنتلجنس سرفيس» لما كتم عن المستر تشرشل في «يالطة» رغبته في مقابلة ثلاثة ملوك من ملوك الشرق الأوسط : الملك ابن سعود ، والملك فاروق ، وهيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة .. غير أن تشرشل ما لبث أن شعر بشيئ من الخطة لما رسا الطراد «كونيري» الذي يحمل الرئيس روزفلت في قناة السويس ؛ فدل ذلك على أن الرئيس لن يذهب رأساً إلى الولايات المتحدة»

وقال ص .١١٧ ـ ١١٧٦ : «وفي اليوم الثاني عشر من فبراير ١٩٤٥م أمر الملك السعودي أعوانه بطي مخيمه، والعودة إلى مكة .. بينما أبرق بالشيفرة إلى ولي عهده الأمير سعود المقيم في الرياض طالباً إليه أن يحكم البلاد باسمه حتى إشعار آخر .

ثم استدعى نجله الثاني الأمير فيصل وأنبأه بسفره وأسبابه ، وأمره بأن يتولى أمور الحجاز ، وأن يتخذ كل التدابير الضرورية للمحافظة على الأمن في جدة ومكة وأي مكان .

وبعد ذلك أعلن أسماء مرافقيه في رحلته ، وتوجه بسيارته إلى الميناء حيث استقل معهم زورقاً بخارياً حمله إلى ظهر المدمرة «مورفي» في الساعة الرابعة والنصف .. وأثار هذا الرحيل المفاجئ صواعق الشائعات في جدة ، فدهش سكانها، وزعم أعداء العاهل السعودي أنه هرب من بلاده، وادعى آخرون أن الأميركيين اختطفوا الملك ، وارتدت نساء الملك ملابس الحداد ، وشققن الأثواب ، ونثرن الرماد على رؤوسهن ، ونزلن من مقرهن في مظاهرة صاخبة إلى مقر الأمير فيصل دامعات باكيات على هجران سيدهن لهن .

وكانت التعليمات تقضي بألا تتضمن حاشية الملك أكثر من ١٢ شخصاً ، ولكنها كانت تعليمات مستحيلة التنفيذ ، وهكذا استقل العاهل السعودي المدمرة مورفي مع ٤٨ رجلاً في مقدمتهم شقيق الملك الأمير عبدالله ، وابنه الثالث الأمير محمد ، وابنه السادس الأمير منصور وزير الدفاع ، ووزير الخارجية بالنيابة يوسف ياسين ، ووزير المال عبدالله السليمان ، والوزير المفوض حافظ وهبة ، والدكتور فرعون طبيب الملك الخاص ، وبشير السعداوي مستشاره الخاص ، ورئيس الحجاب عبدالرحمن الطبيشي ، وأحد أتباع الملك ماجد بن خثيلة . ==

....

== في الساعة العاشرة من صباح ١٤ فبراير ١٩٤٥م تم اللقاء التاريخي بين الرئيس روزفلت والملك عبدالعزيز ابن سعود على ظهر الطراد «كونيري» في البحيرات المرة في قناة السويس .
وقد انتقل العاهل السعودي مع أخيه ونجليه ووزرائه الثلاثة من المدمرة «مورفي» التي استقلوها من جدة إلى الطراد «كونيري» حيث كان الرئيس روزفلت ينتظرهم جالساً على كرسيه السيار .
وبعد التحيات المعتادة سأل العاهل السعودي الرئيس الأميركي رأيه في قبول دعوة تشرشل لمقابلته فيما بعد .. على اعتبار أن القبول قد يسيئ إلى الرئيس روزفلت ؟ .. فأجابه الرئيس : ولم لا ؟ .. إني أسر دائماً برؤية المستر تشرشل ، وأنا واثق بأنك ستحبه كذلك .
وفي الساعة الحادية عشرة والنصف أعلن أن الغداء قد أعد ، فقال لي الأميرال ليهي : رافق الملك في المصعد الأول إلى صالون الرئيس ، أما أنا فأرافق الرئيس في المصعد الثاني .. ورافقت الملك إلى جناح الرئيس الخاص ، حيث وجد الوقت الكافي لغسل يده ، وللاستراحة بضع دقائق قبل أن يصل الرئيس على كرسيه المتحرك .
وأخبرني الأميرال ليهي بعد ذلك بأن الرئيس أوقف المصعد في منتصف الطريق ؛ ليدخن سيكارتين ؛ إذ ضغط على نفسه ولم يدخن في حضور الملك عبدالعزيز مجاملة للعادات السعودية .
وبعد أن انتهى الحديث بين العاهل السعودي والرئيس الأميركي عكفت ليلاً أنا والشيخ يوسف ياسين بمساعدة أحد كتاب المفوضية الأميركية في جدة على تدوين السجل الرسمي ؛ لما دار من أحاديث ، واتفاقات بينهما .
وقضينا شطراً من الليل حتى انتهينا من وضع الصيغة النهائية للوثيقة باللغتين العربية والإنكليزية، وقد وقع العاهل السعودي الوثيقة العربية قبل أن يأوي إلى فراشه .
وكان الرئيس قد سافر على ظهر طراده متجهاً إلى الإسكندرية ؛ ليتوقف يوماً واحداً هناك ؛ لذلك ركبت طائرة في صباح ١٥ فبراير إلى الإسكندرية . لأرفع إلى الرئيس سجل المحادثات .
وقرأ الرئيس محتويات السجل ، وقال : حسناً .. إنه يحتوي كل شيئ ، ثم وقعه دون أن يغير منه حرفاً ، ولم ينشر يومئذٍ شيئ عن المباحثات السياسية التي دارت بين الرجلين الكبيرين ، فقد التزم الذين حضروها الصمت .. وها أنا أرفع النقاب عنها أول مرة ذاكراً لهذه المناسبة أن العاهل السعودي كان يرفض إطلاع أحد على النسخة الرسمية للحديث الذي دار بينه وبين روزفلت ، ولم يرض يوماً بأن يستشهد بما جاء فيها على لسان روزفلت .. قائلاً : إن الصداقة التي تربطه بالرئيس الأميركي تعتمد في كليتها على النوايا والطوية الحسنة .
وإذا كانت هذه قد ماتت بموت روزفلت ، ولم يجددها خلفه : فإنها لا يمكن أن تُبعث حية ==

....

== بقطعة من الورق .

كان الملك ضيفاً على الرئيس ؛ لذلك تمسك بالعادات العربية ، ولم يبادئ الرئيس الحديث ، بل ترك له ذكر تحديد المواضيع التي ستطرح على بساط البحث بينهما .. وقبل أن أذكرها يهمني أن أسجل أن ابن سعود لم يلمح طيلة المقابلة مجرد تلميح إلى رغبته في الحصول على معونة اقتصادية أو مالية لبلاده ؛ فقد جاء يقابل روزفلت بدافع الصداقة البريئة .. في وقت لم يكن هناك ما يدل على أن البترول السعودي سيستخرج بكميات هائلة .

وها أنذا أنقل إلى القراء خلاصة الحديث من الوثيقة الرسمية التي دوناها يومئذ :

بعد أن ناقش الرئيس روزفلت مع ضيفه تطور الحرب ، وأعرب عن ثقته بقرب هزيمة ألمانيا قال للعاهل : إن في باله أمراً بالغاً يشغله ؛ ولهذا فهو راغب في استشارة العاهل السعودي، وفي عونه ..

أما هذا الأمر فهو قضية إنقاذ بقايا اليهود في أوربا ، وإعادة توطينهم بعد أن عانوا العذاب على يد النازيين الذين شردوهم ، وخربوا بيوتهم ، وقتلوهم بالجملة .

وقال : إنه يشعر بمسؤولية شخصية حيالهم ، وإنه مصمم على أن يبذل العون لحل مشكلتهم ، فما رأي الملك السعودي في ذلك ؟ .

وكان جواب ابن سعود مقتضباً وسريعاً : أعطوهم وأحفادهم أحسن بيوت وأراضي الألمان الذين اضطهدوهم .

فأجابه الرئيس روزفلت بأن للناجين من اليهود رغبة عاطفية في سكنى فلسطين ، وأنهم يخشون (عن حق) الإقامة في ألمانيا ، حيث قد ينالهم العذاب ثانية .

ورد عليه الملك السعودي قائلاً : إنه لا يشك في أن لليهود أسباباً قوية تمنعهم من الثقة بالألمان .. إلا أنه لا يشك أيضاً في أن الحلفاء سيدمرون قوة النازيين إلى الأبد ، وسيكون نصرهم عزيزاً بحيث يبسط جناح الحماية على ضحايا النازية .

وإذا كان الحلفاء لا ينوون أن يشرفوا بحزم على سياسة ألمانيا في المستقبل : فلماذا يخوضون مثل هذه الحرب الفادحة الثمن ؟ .

وقال : إني شخصياً لا أتصور أن أترك عدوي في مركز يسمح له بأن يرد الضربة بعد هزيمته ، ولا أستطيع أن أترك له قائمة تقوم .

وعاد الرئيس روزفلت إلى اتخاذ موقف المبادئ قائلاً : إنه يعتمد على الكرم العربي ، وعلى معونة العاهل السعودي في حل المشكلة الصهيونية ؟ .. فأجابه ابن سعود قائلاً : دع العدو الظالم يدفع الثمن ، فعلى هذا الأساس نخوض الحرب نحن العرب ، فالمجرم هو الذي يجب أن يؤدي ==

....

== الغرامة ، وليس المتفرج البريئ .

وتساء ل العاهل السعودي قائلاً : أي شر ألحقه العرب بيهود أوروبا ؟ .. إنهم المسيحيون الألمان الذين سلبوهم أموالهم وأرواحهم ؛ إذن فليدفع الألمان الثمن .

وعاد الرئيس روزفلت يطرق الموضوع ؛ ليشكو من أن العاهل السعودي لم يمده بمعونته لحل هذه المشكلة .

ويبدو أن صبر العاهل السعودي قد نفد بعض الشيئ ؛ فقال بشيئ من الحدة : إنه كبدوي غير متعلم لا يفهم مقصد الرئيس من عدم إلزام الألمان بالتعويض على اليهود ؟! .

وأنهى العاهل السعودي حديثه قائلاً : إن من تقاليد العرب توزيع الضحايا الناجين من المعركة على العشائر المنتصرة وفقاً لعدد كل عشيرة ، وبمقدار ما سمحت به من ماء وطعام في تموين المحاربين ..

وقال : إن في المعسكر الحليف ٥٠ بلداً أصغرها وأفقرها فلسطين التي عُهد إليها بأكثر مما تطيق من اللاجئين الأوروبيين .

وتحدث العاهل بعد ذلك عن مشاعره ، فطلب من الرئيس صداقته ومعونته ، ولم يكن يبدو عليه أنه يفرق بين روزفلت كشخص وروزفلت كرئيس للولايات المتحدة .

وقال العاهل السعودي : إن بلاده لم تخضع لاحتلال أجنبي ، أو حماية أجنبية كغيرها من الدول العربية .. وإنه لولا هذا الاستقلال لما قدر أن يسعى إلى صداقة شريفة نزيهة ؛ لأن الصداقة لا تقوم إلا بين طرفين على قدم المساواة في الكرامة والعزة .

وقال : إنه راغب بعد ذلك في صداقة الرئيس روزفلت ؛ لاشتهاره بأنه بطل الحريات الأربع ، ولأنه تحقق من أن الولايات المتحدة لم تستعمر أو تستعبد بلداً آخر .

ورد عليه الرئيس روزفلت مؤكداً صداقته المزدوجة التي رددها في خطاب بعث به إلى العاهل السعودي في ٥ أبريل ١٩٤٥م قبل وفاته بأسبوع ؛ فقد أكد له روزفلت أنه بصفته رئيساً للولايات المتحدة لن يفعل شيئاً من شأنه أن يكون عدائياً للعرب، وأن حكومة الولايات المتحده لن تغير من سياستها الأساسية حيال فلسطين دون مشاورات مسبقة وكاملة مع كل من العرب واليهود .

وقد اعتبر ابن سعود هذه التأكيدات الشفوية بمثابة حلف مكتوب بينه وبين الرئيس ، ولم يخطر في باله أن الموت سيخطف الرئيس قبل أن يبر بوعده .

وختم الكولونيل وليم إدي مقاله هذا عن الرحلة بالطرائف التالية :

بدأت الرحلة الملكية من جدة بأزمة طريفة ؛ فقد جاء إلى المدمرة الشيخ عبدالله السليمان وزير المال مع قوارب تحمل أطناناً من الخضار والبرغل والرز .. بالإضافة إلى مئة خروف ، وطلب إلى ==

عند انتهاء الرحلة وزع الملك على الطاقم الهدايا التي شملت أربعين دولاراً لجميع أعضاء الطاقم ، مع خناجر ذهبية ، وسيوف لكبار المسؤولين ، ورد القبطان الهدية حيث قدم لابن سعود نظارات ومسدسات آلية .

كان لابد من مساعدة الملك على الوصول إلى السفينة كوينسي ؛ لعدم قدرته على المشي ، استغرق اجتماعـه الأول مع الرئيس ساعة ونصف كان

== ربان المدمرة نقل هذه المؤن إلى المدمرة بأمر الملك .

وأبلغني الربان الحادث ، فقابلت الملك وقلت له : إن المدمرة تحمل من المؤن ما يكفي لستين يوماً ؛ فأجابني جلالته بأن ذلك لا يهمه ، ولكنه يحب أن يأكل ضيوفه الأميركيون من مائدته خرافاً مذبوحة في يومها .

فقلت له : إن البحارة معرضون للعقاب إذا أكلوا من غير الطعام المخصص لهم ، وعندئذٍ نزل عند طلبي ، وانتهت الأزمة بنقل سبعة أكباش فقط إلى المدمرة .

نشأت على ظهر المدمرة أواصر الصداقة بين البحارة الأمريكيين ، وبين مرافقي العاهل الذين تعجبوا من وجود بعض البحارة الزنوج الأميركيين العاملين في مطعم المدمرة ؛ فظنوا أنهم من العرب ، وأصروا على محادثتهم باللغة العربية ، وأخيراً اقتنعوا بأنهم أميركيون، وليسوا رقيقاً يباع ويشرى.

وفي صباح اليوم الأول جاء بحار زنجي يُدعى «هوايت» إلى الملك ابن سعود بفطور مؤلف من الفاكهة والقهوة والبيض ، ثم عاد حاملاً طبقاً من القطائف اللذيذة الشهية ، فابتسم الملك واعتذر قائلاً : إنه قد اكتفى .

وكان الشيخ يوسف ياسين جالساً إلى جانب الملك ، فأخذ يتطلع إلى القطائف بنظرات نهمة لاحظها الملك ؛ فقال : أنت رجل بدين يا يوسف ، وبحاجة إلى المزيد من الطعام ، فلماذا لا تأكل هذه القطائف ؟ .

وبالطبع لم يفهم البحار الزنجي هذا الكلام لأنه قيل بالعربية ، فسحب طبق القطائف عندما مد الشيخ يوسف ياسين يده إليه ، وقال له : صُنعت هذه القطائف للملك وحده ، ولا يستطيع غيره أن يأكل منها .

وفي أثناء الرحلة عُرض على الملك فيلم تعليمي عن حاملة طائرات أميركية ، وعن دورها في الحرب؛ فأعجب جلالته به، ولكنه علق عليه قائلاً: إني أشك في إمكان السماح لشعبي برؤية مثل هذه الأفلام المدهشة ؛ لأنها تقـوي فيهم الميـل إلى اللهو ، وقد تصرفهم عن ذكر الله، وعن واجباتهم الدينية» .

إيـدي يترجم الحديث بينهما، ثم دعا الرئيس الملك لتناول الغداء، واستأنفا محادثاتهما التي استغرقت خمس ساعات شاملة وقت الغذاء .

تضمنت المحادثات مشكلة فلسطين [1]، وقد علق روزفلت: أنه علم من خمس دقائق معلومات من ابن سعود عن هذا الموضوع أكثر من جميع المذكرات والتقارير التي وصلته في هذا الشأن ، حاول الرئيس ثلاث مرات إقناع ابن سعود أن يسمح بحرية هجرة اليهود إلى فلسطين ، مشيراً إلى المآسي التي واجهوها خلال الحرب العالمية الثانية التي انتهت بهزيمة ألمانيا، وكان رد الملك كما يلي : «قدموا لليهود وأبنائهم الأراضي الموعودة [2]، والمنازل المملوكة للألمان الذين عذبوهم».

رد عليه الرئيس بأن اللاجئين اليهود يفضلون الذهاب إلى فلسطين ، ورد الملك قائلاً: «المجرم هو الذي يجب أن يصحح خطأه، وليس المتفرجين الأبرياء».

استطاع ابن سعود أن يقاوم بضراوة جميع النقط التي أثارها الرئيس بشأن حرية هجرة اليهود لفلسطين ، واستطاع في النهاية الحصول على وعود مكتوبة من روزفلت بأنه لن يتخذ أي إجراء معاد للعرب ، وأن الجانب الأمريكي لن يقوم بأي عمل يؤثر على مصالح اليهود والعرب بدون إجراء مفاوضات مسبقة معهم .

---

(١) راجع هولدن ، مرجع سابق ص ١٣٧ وما بعدها ، ولا يسي / مرجع سابق ص ٢٧١ وما بعدها / وهوارث مرجع سابق ص ١٩١ وما بعدها .

قال أبو عبدالرحمن : الذي سبق من المراجع : لا يسي .ر. المملكة / لندن ١٩٨٠ ، وبيت سعود لهولدن ، وهوارث .د . ملك ؟ الصحراء / لندن ١٩٥٤م .

(٢) هكذا في الأصل، والترجمة سيئة بلا ريب، ولعل المعنى: الأراضي التي تعدونهم بها .. وفي ترجمة الدكتور شيا - ستأتي - : «أعطوا اليهود وأحفادهم ما يختارونه من بيوت الألمان الذي اضطهدوهم، وأراضيهم».

لم تنحصر المفاوضات بين روزفلت وابن سعود في مشكلة فلسطين ؛ فقد أثاروا موضوع اشتراك السعودية في المجهودات العربية ، وتعهد الملك بعدم التعدي على الحلفاء ، وكان ذلك إعـلاناً للحرب على ألمانيا واليابان في مارس ١٩٤٥م .

دارت المناقشات لأول مرة بشأن استغلال القواعد العسكرية في المملكة العربية السعودية ، ولم يجب الملك فوراً بخصوص استغلال ظهران كقاعدة عسكرية .

لم يكن موضوع البترول مستبعداً بطبيعة الحال عن فكر المشاركين [١]؛ لذا تمت مناقشته ، والاتفاق على إرضاء الطرفين .

وتضمن ذلك توسيع منطقة الامتياز لشركة كاسوك ، مع زيادة الرسوم على كل برميل من ١٨ إلى ٢١ سنتاً ، سبق لهم مناقشة إمكانية إقامة خط لأنابيب البترول من الحسا إلى البحر المتوسط منذ ١٩٤٣م ، ووافق ابن سعود في مناقشاته مع روزفلت أن تقوم بهذا العمل شركة قطاع خاص .

قبل انقضاء هذا اليوم أهدى روزفلت الملك كرسياً متحركاً مماثلاً لكرسيه تماماً ، وقد أطلق عليه الملك مرحاً «الحصان» ؛ كما قدم روزفلت كذلك لابن سعود طائرة دي . سي ٣ ، أصبحت فيما بعد أساس الخطوط السعودية من شركة خطوط ترانس ورلد الأمريكية .

أبحرت السفينة الحربية التي تقل الرئيس بعد ظهر ذلك اليوم ؛ لذا لم

---

(١) راجع بنوا . ميشن / ابن سعود : الحمل والنمر ، باريس ١٩٥٥م بالفرنسية ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .. حيث يستنتج المؤلف : «أن ابن سعود قد ثأر في أمسية واحدة من إهانات عشرين عاماً» .

يستطع ابن سعود الرد على كرم الضيافة الذي أبداه روزفلت، ولكنه أصر على تقديم القهوة التركي [1] كأحد مظاهر الضيافة العربية [2] .

(١) قال أبو عبدالرحمن : هكذا في الأصل ، والصواب «العربية» كما سيأتي في ترجمة د / شيا .

(٢) ترجمة الدكتور شيا لهذا النص كما يلي : «وقبل أن يغادر الملك المدمرة وزع كالعادة هدايا وتقديمات على أفراد الطاقم ٤٠ دولاراً لكل فرد في الطاقم ، مع خناجر وسيوف مذهبة للضباط الأعلى ، وقابل قائد المدمرة لفتة الملك بتقديمه لابن سعود أعتدة وأسلحة رشاشة .

ومع وصول ابن سعود كان ضرورياً حمله إلى متن كوينسي ؛ لأن الملك كان شبه مقعد بفعل داء المفاصل ، ثم كان أول اجتماع له مع الرئيس لساعة ونصف الساعة بحضور إدي المترجم ، ودعا الرئيس الملك وصحبه إلى مأدبة غداء .. استغرقت اللقاءات بين الرجلين ساعات من ضمنها - حسب الجميع - [يعني رواية الجميع] مأدبة الغداء .

تقدم وثائق اللقاء وصفاً للموضوعات التي جرى التباحث حولها (وبخاصة مسألة فلسطين) ويصف روزفلت الملك : وبحق أنه لخص له في خمس دقائق وبوضوح مالم يجده في كل المذكرات والأدبيات التي تناولت المسألة .

حاول الرئيس لمرات ثلاث منفصلة إقناع ابن سعود ليكون أكثر تساهلاً في السماح بهجرة حرة لليهود إلى فلسطين ؛ بدعوى المعاناة القاسية التي تعرضت لها المجموعة اليهودية الأوروبية في أثناء الحرب العالمية الثانية ، والتي بلغت نهايتها الآن بهزيمة ألمانيا .. وكان جواب الملك : «أعطوا اليهود وأحفادهم ما يختارونه من بيوت الألمان الذين اضطهدوهم ، وأراضيهم» .

وحين رد الرئيس : «إن اللاجئين اليهود يفضلون المجيئ إلى فلسطين» .. أجاب ابن سعود بالقول : إن المجرم وليس البريئ هو الذي يجب مطالبته بالتعويض ، ورفع الضيم» .

قاوم ابن سعود بحزم كل مناشدات الرئيس السماح بهجرة حرة للاجئين اليهود إلى فلسطين ، ونال بالمقابل وعداً من الرئيس روزفلت أنه لن يتخذ أي خطوة معادية للعرب ، وأنه لن يكون هناك إجراءات من الجانب الأميركي تؤثر على مصالح اليهود والعرب قبل التشاور المسبق على ذلك .

لم تكن فلسطين الموضوع الوحيد الذي جرى بحثه بين روزفلت وابن سعود ، فالمشاركة السعودية في المجهود الحربي كانت موضع ثناء .. كما أكد الملك التزامه بعدم معاداة الحلفاء ، أو ما سيتحول في آذار ١٩٤٥م إلى إعلان حرب ضد ألمانيا واليابان .

لم يكن للنفط أن يغيب عن أذهان المشاركين ؛ فجرى التوصل إلى اتفاق يعطي شيئاً إضافياً للجانبين ؛ فمنطقة اتفاق كاسوك جرى توسيعها ، وزادت الجعالة على برميل النفط من ١٨ سنتاً ==

بعد تحرك سفينة الرئيس وصل الملك إلي المحطة التالية لمقابلة تشرشل ، واكتشف أن أحد الخدم [1] نسي صندوق الدواء على سفينة الرئيس، وطلب من زركلي أن يحل هذه المشكلة فوراً ، ولم يكن أمامه سوى اللجوء إلى القوات

== إلى٢١ سنتاً ، وكانت إمكانية بناء خط أنابيب ينقل النفط من الأحساء إلى شاطئ المتوسط قد اقترحت منذ مطلع سنة ١٩٤٣م ، وفي أثناء بحثها مع الرئيس روزفلت كان الملك صريحاً تماماً بتفضيله تكليف شركة خاصة للقيام بالمشروع .

وقبل اختتام ذلك النهار أهدى الرئيس الملك كرسياً بدواليب شبيهاً بكرسيه ؛ لمساعدته في وضعه الصحي ، وهو ما دعاه الملك تندراً بالحصان .. كذلك كان للرئيس تجاه الملك لفتة رمزية عبارة عن طائرة DC - 3 قدمها له هدية غدت عملياً اللبنة الأولى في إنشاء الخطوط العربية السعودية بمساعدة شركة الطيران الأميركية TWA .. كان على سفينة الرئيس الحربية أن تبحر في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك النهار ؛ لتتجمع مع قافلتها في طريق العودة عبر الأطلنطي .. وهكذا لم يكن في وسع ابن سعود رد واجب الضيافة للرئيس ، إلا أنه أصر مع ذلك على تقديم القهوة العربية المرة للرئيس رمزاً للضيافة العربية» .

(١) راجع الزركلي / مرجع سابق ص ١١٨٦ ؛ قال أبو عبدالرحمن : قال الزركلي في شبه الجزيرة ١١٨٦/٤ ـ ١١٨٧ : «وصل الركب الملكي إلى الفيوم كما سبق القول ، وأخذت مع وزير المالية نعمل في إحلال رجال الحاشية في غرفهم ، وفيهم من يرضى ومن يأبى إلى أن بلغت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ؛ فتناولنا قليلاً من الطعام ، وذهب كل منا إلى غرفته للنوم ، ولم يكن قد أغمض لي جفن في الليلة السابقة، ولكن لم يكد الكرى يأخذ بمعقد جفني حتى نهضت مذعوراً على قرع عنيف لباب غرفتي ، وكان على الباب عبدالله السليمان ويوسف ياسين ، وقبل أن أسألهما بادراني قائلين : يريدك .. وأردت أن أضع شيئاً على رأسي ؛ فقالا : كما أنت .. وذهبت مسرعاً إلى غرفة الملك وهو في سريره فلما رآني قال : تكفى يا خيري ! .. قلت : سمعاً .. قال : حقيبة أدويتي نسيها المهبول أمين في المركب، ولا أعرف الراحة بدونها .. قلت : أبشر .. قال : لا يستطيع غيرك أن يعود إلى القاهرة ما دمنا في كتمان سيرنا .. قابل الأميركي (الكولونيل إدي) ، واحضر اجتماع مجلس الجامعة .. قلت : سأذهب حالاً .. وخرجت فقابلني طبيبه الدكتور رشاد فرعون ، وقال : بينما تعاد الحقيبة ائتنا بهذه الأنواع من العلاج في طريقك ، وركبت سيارة عسكرية يقودها جندي بريطاني، وقلت : (إلى القاهرة .. وقبل طلوع الفجر أيقظت الأميركي وليم إدي) ، فقال : إن الطراد الذي كان عليه الملك في البحيرات المرة قد أبحر ، وسأبرق إلى أول شاطئ يمر به، فتقدم بالحقيبة إلينا طائرة عسكرية قبل سفر الملك .. وكان ذلك .. ووسائل الحرب تأتي بما يشبه المعجزات» .

الأمريكية المسلحة ؛ لذا أيقظ إيدي من نومه الذي اتصل بطائرة حربية أمريكية؛ لتتبع المدمرة الأمريكية ، وإعادة الدواء إلى الملك [1] .

---

(١) قال الزركلي في شبه الجزيرة ١١٧٦/٤ ـ ١١٧٩ : «تتمة الحديث مع روزفلت .. ينقل هذه التتمة المؤرخ الفرنسي بنوا ميشان .. قال : لما يئس الرئيس روزفلت من زحزحة الملك عن موقفه حيال قضية فلسطين انتقل إلى موضوع آخر ؛ فعرض رغبات القيادة الأمريكية في الخليج العربي وساحل الأحساء وموانئه .

ودارت المناقشات هنا في جو صاف ، فالبحث يدور حول قضايا تخص العربية السعودية دون سواها ، وأظهر ابن سعود استعداداً للتفاهم ؛ فوافق مبدئياً على رغبات روزفلت ، ولكنه اشترط أن تتعهد الولايات المتحدة بما يلي :

١ - ألا تتعرض العربية السعودية بأي حال من الأحوال لاحتلال عسكري على غرار ما حدث في سورية والعراق وإيران .

٢ - ألا يُقتطع أي جزء من أرض الوطن .. والأماكن التي سوف يستخدمها الجيش الأميركي تكون على سبيل الإيجار لمدة خمس سنين ، ومتى انقضت السنوات الخمس تعود للدولة السعودية بكل ما عليها من أبنية ومنشآت .

٣ - تكون للمملكة العربية السعودية الأفضلية في الحصول على المعدات الحربية المودعة في «كرمنشاه» ؛ لاستخدامها في تطوير تسليح «الإخوان» ، ويتعهد ابن سعود مقابل ذلك بألا يهاجم الحلفاء ، وبأن يصد أي اعتداء تقوم به قواتّ المحور .

٤ - تؤيد الولايات المتحدة (وفقاً للحريات الأربع المنصوص عليها في ميثاق الأطلسي) كل المبادرات التي تتخذها الدولة السعودية إسهاماً في تحرير الشعوب العربية الرازحة تحت نير الاحتلال الأجنبي .

لقد ضمن ابن سعود في البند الأول من هذه الشروط استقلال الجزيرة العربية .. بينما أكد في البند الرابع حرصه على التمسك باستقلال البلاد العربية .

قال روزفلت بشأن البند الأول : لن أسمح بأية بادرة عدائية من جانب الولايات المتحدة ضد الشعوب العربية .. وأما البند الرابع فليس موضع بحث؛ لأنه داخل في صلب سياستي؛ فإن عهد الاستعمار قد ولى، وكذلك عصر الإمبراطوريات، وإن من بين مكاسب هذه الحرب توجيه الضربة القاضية للاستعمار. وضرب روزفلت بسورية ولبنان مثلاً على ذلك ؛ فقال : إن لديه تعهداً خطياً من لجنة ==

== الجزائر بمنح هذين البلدين استقلالهما الكامل ، وإن بوسعه أن يكتب في أي وقت إلى الحكومة الأفرنسية مطالباً بالمحافظة على وعدها .

وأضاف إلى ذلك أنه سيساند السوريين واللبنانيين بجميع ما لديه من وسائل باستثناء القوة المسلحة، ويأمل في أن يفعل بالمثل مع بقية الأقطار العربية عندما تطالب باستقلالها .

أما فيما يتعلق بالبندين الثاني والثالث (ولا سيما حيال مدة إيجار الأراضي السعودية للجيش الأميركي) : فقد حاول روزفلت الحصول على شروط أفضل .. ولكن دون جدوى ؛ إذ أصر الملك على موقفه حتى اقتنع الرئيس الأميركي بوجهة نظره ، غير أنه أبدى تحفظاً واحداً يعود إلى توضيح بعض التفاصيل بواسطة لجنة من الخبراء .

ثم استبق الرئيس الأميركي الزمن ، وأثار قضية النفط ، فطلب إلى الملك منح الولايات المتحدة حق استثمار نفط المملكة العربية السعودية .. واحتدمت المناقشة هنا مرة أخرى إلى أن توصل رئيسا الدولتين إلى اتفاق يرتكز على الأسس التالية :

١ - لا يتخلى ابن سعود عن أي جزء من أراضيه .. بل تكون الشركات المستثمرة مستأجرة للأراضي .

٢ - مدة الاستثمار ستون عاماً .. أي إنها تنتهي في العام ٢٠٠٥ ، وتعود بعدها الآبار ومنشآت البترول كلها إلى الدولة السعودية .

٣ - يرفع الرسم المدفوع للملك عن كل برميل من البترول المصدر من ١٨ إلى ٢١ بنساً أميركياً .

٤ - توسع المنطقة التي تستثمرها شركة «أرامكو» إلى مساحة تبلغ مليوناً و ٥٠٠ ألف كيلومتر مربع.

وعرض روزفلت بعد ذلك مشروع إنشاء خط من الأنابيب بطول ١٧٥٠ كيلو متراً يصل بين الأحساء وأحد مرافئ شرقي البحر الأبيض المتوسط - حيفا أو صيدا - .. ولم يكن مكان المصب قد حدد بعد ؛ فأجاب الملك بأن هذا المشروع ينسجم مع أهدافه ، وأنه سيفعل كل ما في وسعه لتسهيل تحقيقه ، ولكنه أبدى رغبته في أن يتم المشروع بواسطة شركة خاصة ، لا بإشراف الحكومة الأميركية كما كانت ـ على ما يظهر ـ رغبة الرئيس الأميركي .

قال ميشان : ومع أن جو المحادثات بين الرجلين لم يكن في البداية صافياً ؛ فقد افترق الملك والرئيس الأميركي وكل منهما مسرور بالآخر ، ولديه انطباع بأنه حقق عملية رائعة ، وأهدى الرئيس الأميركي كرسيه الخاص الذي كان جالساً عليه للملك السعودي تعبيراً عن امتنانه .

أما الإنكليز فكانوا أقل سروراً حين بلغهم خبر ما دُفع من ثمن لقاء حياد الملك عبدالعزيز ، ==

لم يظهر موضوع مقابلة ابن سعود مع تشرشل إلا بعد أن أخبره روزفلت في فبراير أنه ينوي مقابلة ابن سعود ؛ لذا تحرك تشرشل على الفور في محاولة مستميتة ؛ ليحظى بنفس هذه الفرصة ، ورد الملك على المفوض البريطاني في جدة : «إنه سوف يسافر إلى مصر ؛ ليقابل رئيس الوزراء البريطاني ، والرئيس الأمريكي كذلك» .

شعر الملك بالارتياح (١) لمضيفه على كوينز ؛ لذا سأل الرئيس الأمريكى : إذا كان لديه أي اعتراض على اجتماعه مع تشرشل ؟ .

تم الاجتماع بين ابن سعود وتشرشل بفندق في واحة الفيوم ، وتم إخلاء الفندق من جميع النزلاء ، وقام جرافتي سميث بعملية الترجمة الفورية في هذا الاجتماع ، ووصف عظمة حفل الغداء ، إلا أن الضيوف العرب لم يوافقوه على ذلك (٢) . لم يثر رئيس الوزراء البريطاني موضوع هجرة اليهود إلى فلسطين ، ولم يشر كذلك إلى الموضوع الذي ناقشه مع جرافتي سميث قبل

== ولم يسعهم إلا الرضى بالأمر الواقع ؛ ففي الخفاء ومن دون أن يبدو أي شيئ يلفت انتباه الرأي العام العالمي وجهت إلى السيطرة البريطانية في الشرق ضربة أليمة ، وتخلصت بواسطتها العربية السعودية من دائرة النفوذ البريطاني .

قال : وهكذا .. في يوم واحد تم لعبدالعزيز أن يثأر لحقبة طويلة دامت عشرين عاماً» .

(١) راجع غرافتي سميث / مرجع سابق ص ٢٥١ .

(٢) معلومات خاصة ، يعطي زركلي في جزء واحد يلخص أجزاء أعماله الأربعة أربعة أسطر للقاء ابن سعود ، وتشرشل / الزركلي / الوجيز / طبعة رابعة ببيروت ١٩٨٤م ؛ حيث وصفه للقاء ليس دائماً على الدرجة نفسها من الدقة / الزركلي / عينه ، وهوارث ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، ولايسي ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .

راجع تقرير تشرشل إلى وزراء الحرب حول المباحثات السياسية مع ابن سعود في غيلبرت ، م . (وتشرشل . ر) تشرشل ، المجلد السابع ، ص ١٢٢٥

الاجتماع : بأن بريطانيا قدمت الكثير لعبدالله في الأردن وفيصل في العراق ، وأن الوقت قد حان لأن يردوا الجميـل ، وتجدر الإشارة إلى أن تشرشل تحايل على شرب الكحوليات أمام ابن سعـود بوضعها فـي كـوب غير شفافـة حتى لا يكتشفها الملك .

قدم الملك لرئيس الوزراء عينة من مائه المفضل الموجود بالقرب من مكة ، ذكر تشرشل في كتابه «ذكريات الحرب» أنه أحلى ماء تذوّقه طوال حياته ، وقدم الملك لضيوفه هدايا ً ثمينة مثل السيوف المرصعة بالجواهر والماس ، وملابس عربية ثمينة ، وعطور وجوهرة ثمينة قدر ثمنها ١٢٠٠ إسترليني في ذلك الوقت ، وذكر تشرشل في كتابه مدى الحرج الذي تعرض له حيث أرسل مندوبه إلى القاهرة ؛ لشراء عطور بمبلغ إجمالي قدره ١٠٠ إسترليني ؛ ليقدمها إلى الملك ، حاول تغطية موقفه الحرج بقوله : «إن تلك الهدايا رمزية .. إلا أن حكومة جلالة ملك بريطانيا قررت أن تقدم للملك أفخم سيارة في العالم ؛ لتخدمه في وقت السلم ، وتقيه شر أعدائه» .. وفعلاً كلف جرافتي سميث في هذا العام بالإشراف على تسليم سيارة رولز رويز فضية رمادية مصممة طبقاً للنواحي الأمنية اللازمة للملك ، ولتلائم رحلات الصيد التي كان يقوم بها .

أرسل سيريل أو سمان عبر الصحراء بصحبة السيارة الثمينة التي قدمت للملك عند قصر المربع ، عبر الملك عن إعجابه بهذه السيارة الفارهة ، ولكنه قبل أن ينصرف علم أن الملك أهداها إلى شقيقه عبدالله ؛ لأن تلك السيارة كانت مصممة بحيث يجلس السائق على الجانب الأيمن ، وكان الملك يجلس دائماً في المقعد الأمامي ، وذلك يعني أنه سيضطر إلى الجلوس على الجانب

الأيسر ، وذلك ينافي الأصول ؛ حيث أن مكانته الشرفية تحتم جلوسه إلى الجهة اليمنى ، ويشيرجرافتي سميث «أعظم سيارة في العالم لم تستخدم» [1] .

لم يطل ابن سعود الإقامة في مصر بعد مقابلة تشرشل ، ولم يوافق على فكرة زيارة الآثار المصرية ؛ حيث كان يتعجل العودة إلى جدة ؛ تحرك موكب الملك داخل القاهرة صباح يوم ١٩ فبراير [2] ؛ عند مروره على الأهـرامات وسماعه لقصة بنائها وعظمتها علق قائلاً : «إسراف» .

كان وصول الملك إلى السفينة الحربية البريطانية عن طريق ونش مع استخدامه للكرسي المتحرك الجديد الذي أهدي إليه ، لا يمكن لأحد أن يتصور الفرحة والسعادة التي قوبل بها في جدة ؛ لأنه عاد سالماً من مخاطر العالم الخارجي الذي كان في حالة حرب .

الغريب بخصوص الاجتماع الذي تم بين ابن سعود وتشرشل أن المترجم البريطاني الرسمي اختلف مع جرافتي سميث عن مضمون هذا الاجتماع كما أشرنا من قبل ؛ أكد جرافتي سميث أن تشرشل لم يتطرق في مناقشاته إلى موضوع اليهود وفلسطين ، إلا أن تقرير رئيس الوزراء البريطاني بخصوص هذا الاجتماع يؤكد مناقشته لموضوع فلسطين مع ابن سعود ، يـذكر إيدي كذلك أن ابن سعود عبَّر له عن سخطه تجاه تشرشل ؛ لجرأته على طلب اعتدال موقف ابن سعود تجاه اليهود، واتخاذ اتجاه واقعي؛ للوصول إلى نوع من المصالحة معهم مقابل تلك المساعدات التي ظلت بريطانيا تقدمها له طوال هذه الفترة .

(١) غرافتي سميث / مرجع سابق ص ٢٧٢ . قال أبو عبدالرحمن : هذا من سوء الترجمة ، والأولى أن تكون العبارة مثلاً : ويشير جرافتي سميث إلى أنها .. أو ويذكر أنها .

(٢) راجع الزركلي / مرجع سابق ص ١١٨٦ .

يحتمل أن الملك كان يسترجع ذكرياته السابقة عن تورط تشرشل الطويل في مشكلة فلسطين؛ فقد كان من قبل سكرتير الدولة للمستوطنات البريطانية، وهو الذي دعا إلى مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١م الذي أسفر عن تنصيب فيصل في العراق، وعبدالله في الأردن ، وكان كثير من العرب يعتبرونه شديد التعاطف مع الصهاينة أياً كان الوضع ؛ فلم تسفر هذه الاجتماعات عن شيئ ؛ في منتصف أبريل توفي روزفلت، وحل مكانه الرئيس ترومان الذي كان أكثر حرصاً بخصوص موضوع الصهيونية ، لو أنه كان قريباً من روزفلت لكان له رأي آخر بشأن ابن سعود؛ حيث معه أحد المقربين إليه يقول: «بعدة ملايين من الدولارات نستطيع أن نفعل كل ما نريده من ابن سعود» (١) .

(١) راجع لايسي / مرجع سابق ص ٢٨٩ ون .. قال أبو عبدالرحمن : ولكن خسئت أماني ترومان ، وتجد رَدَّ عبدالعزيز عليه بخطاب يُسيل الدموع عن موقف هذا العربي المحتد ، السلفي عقيدة .. انظره في مجلة أهلاً وسهلاً السنة ٣٢/ العدد السابع/ شهر ربيع أول عام ١٤١٩هـ ص٣٢ - ٣٣.. وفي كتابي «الملك عبدالعزيز ورزفلت» ذكرت في الفصل الثالث من الباب الرابع جهود الملك عبدالعزيز الدبيلوماسية والذاتية بعد مراسلاته لترومان إلى وفاة عبدالعزيز - رحمه الله - .. وأمنية الرشوة لزعيم عربي ، وإمام مسلم تمت محاولتها قبل ترومان ، قال الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في جواب لهوسكنز مبعوث روزفلت - كما في شبه الجزيرة ١١٤٢/٤ - ١١٤٣ : «وأما ما ذكر فخامته من جهة مقابلتي للدكتور حاييم وايزمن : فأحب أن يعلم فخامة الرئيس بأننا نقابل كل من يأتي إلينا من جميع الأديان بكل ترحاب ؛ مع القيام بالواجب لهم حسبما يقتضيه مقامهم من الإكرام ؛ أما اليهود بصورة خاصة فلا يخفى على الرئيس ما بيننا وبينهم من عداوة سابقة ولاحقة، وهي معلومة ومذكورة في كتبنا التي بين أيدينا ، ومتأصلة من أول الزمان ؛ فمن هذا يظهر جلياً أننا لا نأمن غدر اليهود ، ولا يمكننا البحث معهم أو الوثوق بوعودهم ؛ أولاً : لأننا نعرف نواياهم نحو العرب والمسلمين ، وثانياً : لأننا لم نتصل بالعرب لنعرف رأيهم . وكما ذكرنا فيما تقدم إذا رغب فخامته أن نقوم باستمزاجهم واستطلاع رأيهم نحن نقوم بتحقيق تلك الرغبة حينئذٍ .
أما الشخص الذي هو الدكتور وايزمن : فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة ؛ وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إليّ من دون جميع العرب والإسلام تكليفاً دنيئاً ؛ لأكون==

في مارس ١٩٤٥م شق ابن سعود طريقه، واحتل مكانتـه بين المنظمة العالمية «الأمم المتحدة» ، كان يمثله في اجتماعاتها ابنه فيصل، وقد أسفرت اجتماعات المنظمة المنعقدة في سان فرانسيسكو عن[1] شد انتباه الأجيال إلى السعودية .

في يونيو ١٩٤٥م زار السعودية المارشال وافل آخر مندوب بريطاني في الهند ، كان جندياً وشاعراً وقائداً للقوات البريطانية في الشرق الأوسط ، عرض جرافتي سميث فكرة زيارته ، ورحب الملك بذلك، ووصل إلى الرياض في يونيو ١٩٤٥م ، كانت تلك الزيارة بداية لزيارات عديدة من الأجانب المتعطشين لمعرفة هذا الملك العظيم الذي خاض الحملات الحربية لسنوات طويلة عديدة، وعانى من الفقر ، ووصل إلى هذه الدرجة الكبيرة من الثراء [2] .

== خائناً لديني وبلادي ؛ الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه ، وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من هذه الحرب ؛ إذ أرسل إليّ شخصاً أوربياً معروفاً يكلفني أن أترك مسألة فلسطين ، وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ، ويسلّم إليّ عشرين مليون جنيه مقابل ذلك ، وأن يكون هذا المبلغ مكفولاً من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه .. فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟ .. وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف، ويجعل فخامة الرئيس كفيلاً لمثل هذا العمل الوضيع !! ؟ .

إني لا أشك بأن فخامة الرئيس روزفلت لا يقبل هذا (لا في حقي ، ولا في حقه) .. فهذه من جملة الأسباب التي أريد أن تعرضوها على فخامة الرئيس ؛ حتى يرى إلى أيّ حدّ يتجرأ اليهود للوصول إلى غاياتهم الباطلة ، وينظر برأيه السديد في هذه الأعمال التي يغني بيانها عن وصفها » .

(١) في الأصل : إلى .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : في الأصل نقص ، وها هو نص ترجمة الدكتور شيا : «ويروي الزركلي أنه بعد مغادرة الرئيس وقعت حادثة حقيبة الأدوية .. كان الملك قد رحل للتو إلى محطته الثانية للقاء ونستون تشرشل عندما دعي الزركلي عند منتصف الليل إلى جناح الملك ؛ فأخبره الملك أن أحد الخدم المجانين نسي حقيبة أدويته على المدمرة الأميركية ، وأن على الزركلي استعادتها .. لكن الزركلي أدرك أنها مسؤولية القوات المسلحة الأميركية ، وهكذا ذهب لإيقاظ إدي الذي رتب مغادرة طائرة أميركية ؛ لتواكب كوينسي في المرفأ التالي الذي من المقرر أن تصله ، واستعادة حقيبة الدواء . ==

....

== وفكرة لقاء تشرشل بابن سعود لم ترد إلى ذهن البريطانيين إلا بعدما ذكر روزفلت لرئيس الوزراء البريطاني ليلة مغادرته يالطا في ١٩٤٥/٢/١١م : أنه ذاهب للقاء ابن سعود .. والرواية التي ينقلها إدي سنة ١٩٥٤م للأحداث ترسم تشرشل يقلب السماء على الأرض، أو العكس؛ للحصول على فرصة مساوية لفرصة روزفلت .. فكان جواب غرافتي سميث: إن الملك أبلغ بعثتنا في جدة أنه مستعد فقط أن يذهب إلى القاهرة إذا كان مناسباً للقاء رئيس الوزراء البريطاني، وكذلك الرئيس الأميركي : وبقدر لافت من المراعاة سأل الملك مضيفه وهما على كوينسي : لديه اعتراض على لقاء تشرشل ؟ .

تم لقاء ابن سعود وتشرشل في فندق صغير في واحة الفيوم ، وأُخليت صالة الفندق من جميع نزلائها المعتادين ؛ فأقام تشرشل حفل غداء كبير على شرف الملك وصحبه .. ويصف غرافتي سميث الذي قام ببعض الترجمة في اللقاء حفل الغداء بأنه نجاح عظيم .. لكن رأيه هذا لا يتفق مع آراء المشاركين العرب .. كان غرافتي سميث مرتاحاً بلا شك ؛ لأن رئيس الوزراء لم يحاول إقناع الملك بالاعتدال في مسألة الهجرة اليهودية ، ولا بالمحاضرة التي أسمعها لغرافتي سميث قبل اللقاء ، ومؤداها : أن البريطانيين قد فعلوا الكثير للهاشميين لعبدالله في الأردن ، ولفيصل في العراق ، وأنه قد حان الوقت بالتأكيد لأن يفعل العرب شيئاً بالمقابل .. وكان هناك مصدر راحة آخر للدبلوماسي البريطاني القلق ، وهو مبادرة تشرشل إلى إبعاد عدة الكحول التقليدية ، واستبدالها بكؤوس داكنة لإخفاء ما فيها .

قدم الملك لرئيس الوزراء عينة من مائه المفضل من بئر قرب مكة وصفه تشرشل في ذكريات الحرب بأنه : أطيب ما ذقت على الإطلاق .. كما أنه قدم هداياً ثمينة لضيوفه : «قدمت لنا جميعاً سيوف مرصعة بمقابض من ماس، وهداياً ثمينة أخرى» .. أما سارة ابنة رئيس الوزراء فقد اكتشفت في الطرد الذي تلقته (لا الأثواب العربية الجميلة فحسب ، وإنما اكتشفت كذلك) من العطور والماس، ما تصل قيمته إلى ١٢٠٠ جنيه .. وينقل تشرشل الشعور بالارتباك الذي أحسه أمام مشهد الفقر [قال أبو عبدالرحمن : لعلها الحرج] الذي بدا حين أرسل مرافقه إلى القاهرة لشراء عطور تقدم هداياً للملك بما لا يزيد على ١٠٠ جنيه معتذراً للملك : «إن هذه مجرد تذكارات ؛ فحكومة صاحب الجلالة قررت إهداء كم أجمل سيارة في العالم .. فيها كل تسهيلات الراحة، وكل الاحتياطات الأمنية ضد أي عمل عدائي».

وفي وقت لاحق من ذلك العام كان غرافتي سميث معنياً بالإشراف على تسليم رولز رويز فضية رمادية تستجيب مواصفاتها لحاجات المرافقة والصيد في آن .. وأرسل فوراً سيريل عثمان عبر الصحراء مع السيارة الثمينة ، والتي جرى تقديمها إلى الملك في باحة قصر المربع .. أبدى الملك ==

....

== إعجابه بهدية رئيس الوزراء .. لكن عثمان (وقبل مغادرته) سمع الملك يقول لأخيه الأمير عبدالله: إن في وسعه الاحتفاظ بها ؛ فقد لاحظ الملك أن مقود السائق إلى اليمين مما يعني أنه سيكون عليه الجلوس إلى يسار السائق؛ إذ إنه معتاد أن يسير في طليعة السيارات [قال أبو عبدالرحمن : هذه ترجمة سيئة ، وطليعة السيارات يشترك فيها من كان على اليمين أو الشمال .. وإنما التيامن سنة محمدية اتبعها عبدالعزيز]، وهذا ليس لائقاً، فمقعد الشرف هو إلى اليمين .. ويختم غرافتي سميث حزيناً: «إن السيارة الأفضل في العالم لا يمكن استعمالها».

لم يمكث ابن سعود بعد لقائه تشرشل طويلاً في مصر ، فقد قاوم فكرة القيام بجولة في القاهرة للتعرف على معالمها ؛ ليتمكن من العودة من دون تأخر إلى جدة وطمأنة شعبه ؛ فجرى إعداد السيارات بُعيد الصباح في ١٩ شباط ، وتحرك الموكب باتجاه القاهرة باعثاً شائعات غير صحيحة عن رش الملك لعطاياه وتقديماته على طول الطريق من الأهرامات الى مركز المدينة .. وبينما كانت القافلة تمر بالأهرامات ، ورويت له قصة بنائها : كان تعليقه : «إنه إسراف» .. أي تبديد رهيب للمال، وصعــد الملك إلى سفينة الحرب البريطانية محمولاً مع كرسيه المتحرك .. وحين نزل الملك في جدة كان الوضع مختلفاً ؛ فهو عائد الآن من أخطار العالم الخارجي الذي ما يزال في حرب .

والغريب بخصوص الاجتماع بتشرشل أن المترجم الرسمي البريطاني لتشرشل يعطي رواية لسياق المباحثات السياسية مختلفة عن رواية السعوديين والأميركيين ، بل أيضاً رواية تشرشل نفسه .. يوضح غرافتي سميث في كتابه أنه سعى جاهداً لإبعاد تشرشل عن الموضوع الفلسطيني .. وبخلاف ذلك فإن تشرشل في روايته عن اللقاء يؤكد أنه جرى بحث الموضوع الفلسطيني مع ابن سعود .. وينقل إدي أن الملك حدثه عن غضبه لوقاحة تشرشل الذي لفت إلى أن واقع المساعدات البريطانية التي استمرت طويلاً يسمح أن يطالب بالاعتدال في الموقف السعودي ، والمبادرة إلى نوع من الحل الوسط مع الصهيونية .

والاحتمال الممكن هنا هو أن الملك في استعادته لمباحثاته مع تشرشل ربما كان يقرأ من جديد في كتاب قديم ، وهو معرفته بانخراط تشرشل ولفترة طويلة في المشكلة الفلسطينية ؛ فقد كان قبل كل شيئ وزير الدولة للمستعمرات الذي دعا سنة ١٩٢١م لمؤتمر القاهرة ، والذي ولى فيصلاً في العراق وعبدالله في شرق الأردن ، واتهمه العديد من العرب بأنه كان متعاطفاً مع الصهيونية .

وفي كل الأحوال فقد عاد ابن سعود من لقاءيه (كما يتبين بعد ذلك) خالي الوفاض ، فوعود روزفلت لم يكن مقدراً لها أن تسفر عن شيئ :

أولاً : لأن روزفلت قد مات في حدود منتصف نيسان، والرئيس الجديد ترومان كان قد فاز؛ بفعل تركيزه على أن الاعتبارات السياسية المحلية يجب أن تكون هي الغالبة في مسألة دعم الصهيونية أو عدم دعمها .. ثم مع افتراض بقاء روزفلت فهو ربما كان قد لجأ إلى مقاربة أخرى مع ابن سعود ، إذ ==

ويصف جرافتي سميث المقابلة : «قابلنا هذا الصوت العميق الصادر عن خمسة من القراء الغير مبصرين يرتلون القرآن الكريم عبر مسافة .. سمعنا صوت سواقي المياه خلف حراس ابن سعود بملابسهم المرصعة بخيوط الذهب» .. كما قال : إن الملك ابن سعود لا يأكل كثيراً يفضل شراب لبن الجمال الدافئ .

كان الملك [ابن] سعود في مثل هذه الزيارات يفاجئ زواره بالهدايا الثمينة ، ولكن في هذه المناسبة على وجه الخصوص انبهر بالهدية التي قدمها له المندوب البريطاني .. كانت نسخة مضاءة من القرآن الكريم .. لم يتذكر ابن سعود حينئذٍ أن ذلك الرجل البريطاني لم يستجب لمحاولة والده في ١٩٠٢م لعمل معاهدة بين بريطانيا وآل سعود .

في ١٩٤٥م جاءه زائر آخر من إنجلترا حين استطاع فيلبي أن يحظى بحريته ، وسافر من إنجلترا إلى القاهرة ، وكان الملك كريماً معه حيث أرسل له

= نقل عنه قوله لخاصته : إنه ببضعة ملايين من الدولارات سيكون قادراً أن يملي على ابن سعود ما يريده .

وفي آذار ١٩٤٥م استطاع ابن سعود تأمين مقعد للعربية السعودية في قاعات اجتماعات المنظمة العالمية الجديدة الأمم المتحدة ، والتي مثل فيصل بلاده في لقاءاتها ، وكان للقاءات سان فرنسيسكو في واحدة من نتائجها : أنها فتحت أعين أجيال من السعوديين على أضواء كاليفورنيا .. استقبل الملك في حزيران ١٩٤٥م أحد أوائل الزوار الأجانب الذين كانوا يأتون للحصول على فرصة للتعرف إلى هذا الرجل الذي بات يعرف الآن عالميا كشخصية أبوية برزت حديثاً إثر سنوات من الغزو والبؤس، وتمثل مع ذلك ثروة أسطورية .

ولم يكن الأخير بين زواره .. كذلك نائب الملك على الهند فيلد مارشال وآيفن ، الجندي والشاعر، وقائد الأركان السابق للقوات المسلحة البريطانية في الشرق الأوسط .. لقد كان في طريقه إلى الهند منتصف الصيف حينما اقترح عليه غرافتي سميث زيارة ابن سعود ، وقبل الملك الفكرة بسرور ، وبعدما نزل في جدة يمم نائب الملك شطر الرياض لمقابلة ابن سعود في حزيران ١٩٢٥» [قال أبوعبدالرحمن : الصواب ١٩٤٥م] .

قال أبوعبدالرحمن : أحال إلى غرافتي سميث / مرجع سابق ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

طائرته الخاصة لتقله إلى الرياض ، وعاش فيلبي في الرياض على أحسن حال لا يدفع أي ضرائب ، لا يدفع أي مصروفات للإقامة أو تذاكر الطيران ، لا يحتاج إلى تسجيل سيارته ، يأكل من مطبخ الملك ، ويحظى بالحسان من وقت لآخر[1] .

(١) راجع الزركلي . مرجع سابق ص ١٣٦١ .
قال أبو عبدالرحمن : المراد طيبات الأكل .. وسيأتي في ترجمة شيا : «لقاءاته وعدداً من الصبايا» .. وليس في بيئة عبدالعزيز صبايا ولا شابات ، ولكن سوء الترجمة حول طيبات الأكل إلى حسان .. ثم إلى صبايا !!.
قال أبو عبدالرحمن : قال الزركلي في شبه الجزيرة ٤/١٣٥٨ ـ ١٣٦٤ : «قلت في فصل سابق : لاحظت أكثر من مرة في مجالس الملك عبدالعزيز العامة أو شبه الخاصة (مما كان فيلبي يغشاه في جملة الناس) أن الملك يكون مسترسلاً في الكلام ، ويلمح عن بعد غترة فيلبي داخلاً ؛ فلا يلبث أن يحوِّل موضوع الحديث بلباقة من دون تردد أو تلعثم أو صمت إلى موضوع آخر مما يجوز أن يستمع إليه فيلبي ! .
وكان فيلبي نفسه يعلم منزلته هذه عند الملك ، ويقنع بها وبما دونها من مباسطات وإكرام وجدل ونقاش يتسع له صدر عبدالعزيز ، وهمس في بعض الأحيان ، وقضاء حاجات .
وأصدق من يعرف فيلبي ، ويرسم حدود علاقته بالملك هو الملك عبدالعزيز نفسه .
وبين يدي برقية وردت بالجفر من الرياض في ١٥ جمادى الأولى ١٣٥٦هـ / ٢٣يوليو ١٩٣٧م الرقم ١١٤٠/٢٣/٧٥ هذا نصها :
«نجدية – مصر
نخشى أن يحسب بعض الناس أن كلام فيلبي وخطبه ومقالاته تعبر عن رأينا في قضية فلسطين ، وحيث إننا لم نكلفه بيان أي رأي أو اقتراح باسمنا : فإننا نرغب أن توعزوا إلى بعض الصحف لتنشر أن فيلبي صديق شخصي ، وعلاقته بنا علاقة شخصية ، ولمعاملات تجارية وما شاكلها ، أما آراؤه السياسية فهي له ، ولا تعبر عن فكرنا مطلقاً» .

عبدالعزيز

لم تُنشر هذه البرقية بصفة رسمية يومئذ ؛ مراعـاة لشعور فيلبي المنعوت بالصديق الشخصي للملك، ولا أذكر الآن بأية صيغة نشرت .. إلا أن المفوضية العربية السعودية في لندن تلقت ما هو أوضح مما ورد علينا في القاهرة ؛ فنشرت في صحف لندن يوم ١١ جمادى الآخرة ١٣٥٦هـ / ١٨ أغسطس ١٩٣٧م بياناً نقله البرق ، ونشرته الصحف المصرية في اليوم التالي .. هذا نصه :
«نظراً لحصول بعض الارتباك في الرأي العام من جهة علاقة المستر فيلبي بالعرب: وجه مسلمون ==

....

== كثيرون من بلاد العرب وغيرها أسئلة إلى الحكومة العربية السعودية عن الآراء التي أبداها عن فلسطين في مقالاته المنشورة في الصحف البريطانية ، وخطابه الأخير ؛ وبناء على ذلك كلفت الحكومة العربية السعودية هذه المفوضية أن تعلن أن ليس للمستر فيلبي من علاقة سياسية بجلالة الملك عبدالعزيز ، أو حكومته .. وكل علاقات المستر فيلبي ببلاد العرب تجارية صرف ؛ ولهذا تكون آراؤه في حل مشكلة فلسطين شخصية تماماً، ولا تمثل على الإطلاق رأي الحكومة العربية السعودية».

وجاء دور فيلبي وكان في لندن ؛ فنشر في التيمس بعد أسبوع من نشر البيان ، ما سماه تعليقاً على بيان المفوضية العربية .. جاء فيه : «أود أن أصرح بأني موافق على كل ما ورد في بيان المفوضية العربية بشأني ، وأزيد على هذا أنه لم يسبق لي أن أبديت في يوم ما غير رأيي الخاص في كل ما يتعلق بالمشاكل العربية منذ عشرين عاماً ، وقد سرني أن أتيحت لي هذه الفرصة ؛ لأؤكد أنني ليست لي الآن (ولم تكن لي من قبل) أية علاقة رسمية أو شبيهة بالرسمية كائنة ما كانت بجلالة ملك العربية السعودية أو بمملكته .. أما صداقتي لجلالته وإعجابي بشخصه فذلك أمر آخر» .

وما دمنا في معرض الحديث عن الحاج عبدالله «سان جون فيلبي» ؛ فأول معرفتي به كانت في عمان عاصمة شرقي الأردن سنة ١٩٢١م ـ ١٩٢٣م .. كان رئيساً للمعتمدين البريطانيين ، وهم موظفون بثتهم الحكومة البريطانية قبل إمارة الشريف عبدالله بن الحسين في جهات متعددة من شرقي الأردن، واستمروا في أعمالهم بعد قيامها ، وزيد فيلبي لرئاستهم ، وكنت آنئذٍ أرأس ديوان الحكومة ؛ فكان فيلبي على صلة بي في بعض الشؤون ، وهو همزة الوصل باستمرار بين الأمير عبدالله في عمان والمندوب السامي البريطاني في القدس .. وقلما كانت وزارة عبدالله في عمان تشعر بوجود فيلبي ؛ لملازمته مجلس الأمير ، واتصاله المباشر به في كل أموره .

وأذكر أنه كان يتظرف بمعرفته اللغة العربية ، وجاءني يوماً لأحكم بينه وبين مظهر الرسلان : هل كلمة موسيقى عربية ؟ .. فقلت : أما أصلها فلا، ولكنها وردت في كتب العرب من ألف عام .. فقال : ما أبخلك يا مظهر ! .. كلمة تعيش عندكم ألف عام ولا تزالون تعدونها دخيلة .

وسبق أن ذكرت في كلمة عن الإمام عبدالرحمن : أن أول مرة رأى فيلبي فيها الملك عبدالعزيز كانت في الرياض سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، وزار البلاد العربية بعد ذلك عدة مرات في مهمات كانت حكومته تنتدبه لها ، و رافق بتكليف من حكومته وفداً برئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز ؛ لزيارة لندن وباريس سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م .

ويقول : إن خلافاً نشأ بينه وبين حكومته بعد خروجه من شرقي الأردن سنة ١٩٢٤م ؛ فاستقال من العمل الرسمي ، وفي سنة ١٩٢٦م بدأ إقامته في جدة تاجراً ، وأنشأ شركة لاستيراد السيارات ظل يعمل فيها إلى سنة ١٩٥٥م .

....

وكنت أول من نشر خبر إسلامه سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م، وقد وصلت إليَّ رسالة من الطائف إلى القاهرة من يوسف ياسين يقول فيها : «قبل ساعة من كتابة هذه الرسالة أعلن فيلبي بجدة اعتناقه الإسلام . وما تركت الرسالة من يدي حتى اتصلت هاتفياً برئيس تحرير المقطم خليل ثابت وحدثته بالخبر .. ويظهر أنه خشي الخطأ ، فنشره هكذا : أخبرنا الأستاذ خير الدين الزركلي أن المستر فيلبي أعلن اعتناقه الإسلام في جدة ... إلخ» .

وأصبح فيلبي من ذلك اليوم يرافق الركب الملكي في الحج وأكثر الأسفار، وتزوج بنجد من إيرانية عاد بها إلى مكة ، وولدت له ولدين هما خالد وفارس .

وكان الملك عبدالعزيز على شيئ من اليقين بأن فيلبي إنما استقال من خدمة حكومته حين كان في عمان ؛ لإعراضها عن الأخذ برأيه في السياسة العربية ومناصرة عبدالعزيز ، ويروي فيلبي أنه لما زار الملك في الطائف زيارته الأولى بعد دخوله في الإسلام : قال الملك عبدالعزيز لمن في مجلسه : «لقد عمل فيلبي كثيراً من أجلي ومن أجل قضية نجد ، وضحى بالكثير في سبيلنا ، واختلف مع سياسة حكومته بسببنا ، وتخلى تبعاً لذلك عن مناصبه الرسمية من أجلنا ؛ وهذا ما يعلل به الكثيرون استمرار عطف الملك عبدالعزيز عليه .

ما كان فيلبي يتقاضى راتباً من حكومة الملك عبدالعزيز ، ولا يتلقى شرهات منه كغيره .. وكان يعتز بأن حكومة عبدالعزيز تدفع أجرة المنزل الذي تقيم فيه أسرته بمكة ، وتصرف له ولأسرته الصغيرة مخصصات للمعيشة ؛ وكل أسفاره في الطائرة داخل المملكة ، ومنها ، وإليها هو على حساب الحكومة ، وهو معفى من ضريبة الدخل ، وسيارته غير خاضعة للتسجيل .

وأرادت حكومة الملك عبدالعزيز شراء مقدار من الخيام ، فرأيت فيلبي يدخل عليه ، ويحدثه بأنه على استعداد لجلب الخيام من الهند ، ووافق الملك ، وأسلفته الحكومة ما هو في حاجة إليه من النقد، ورحل ، ثم سلمها الخيام ، وأضاف إلى قيمتها الربح الذي فرضه .. وهذا نموذج من تجارته التي جمع منها ثروة بالغ فيها الناس ، ولم يظهر لضخامتها أثر بعد موته .

استعان بالملك عبدالعزيز على رحلات طاف بها أكثر أنحاء الجزيرة ، ولم يمنع عنه عبدالعزيز عونه بالرجال والإبل والنفقات .

ولما قام عبدالعزيز بزيارة مصر الزيارة الرسمية العلنية في أوائل سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م كان فيلبي في جملة المسافرين معه من جدة على اليخت محروسة ، إلا أن اسمه لم يذكر رسمياً في عداد الحاشية الملكية ، ولم يظهر هو في أي حفل أو مجتمع رسمي .

وكما كان الملك يأنس بخالد الحكيم لمناقشته له ، واشتداده في الجدل معه إلى حد الغضب والإغضاب : فقد كان فيلبي يصل أحياناً إلى العنف في المناقشة ؛ قال في أحد كتبه : شبه ==

ويعلق زركلي على ذلك بأن ابن سعود كان يعتقد أن فيلبي ترك عمله مع الحكومة البريطانية ، وجاء ليكون رهن إشارته ؛ ذلك لا يعني أن الملك لم يكن حريصاً مع فيلبي (١) ، فقد علق زركلي أن الملك كان يغير موضوع المناقشة في مجلسه إذا كان هاماً إذا لمح فيلبي يدخل المجلس» (٢) .

== الملك مرة مجلسه الخاص بالبرلمان البريطاني، وقال : «ألا ترون أننا نناقش الأمور هنا بحرية ديمقراطية كاملة، وعندنا دائماً جبهة رسمية للمعارضة يمثلها فيلبي» ؟ .
إلا أن في الخاصة الملكية من يعزو عنف فيلبي إلى لكنته في العربية ، وسوء فهمه لبعض ما يقال له؛ فيضطرب ويحسب من يراه أنه يحتدم .. وكان لا يخلو من حدة تقرب من الحماقة .
كان مولعاً بالتحدث عن عبدالعزيز في خطبه بإنكلترة ، ومقالاته في الصحف البريطانية ، وكتبه ؛ لأن الحديث عن عبدالعزيز مادة لا تنضب ، ولأن فيلبي كان في الحقيقة من أعرف الناس به ؛ للصوقه وانتباهه لكل حركة أو كلمة تصدر عنه : يقيد ذلك في الحال في دفتر صغير لم يكن يفارقه .
ولعل قطرات الدمع التي انحدرت من عينيه على باب مجلس عبدالعزيز في الطائف (لما علم بأن عبدالعزيز أمر بالانسحاب من الأراضي اليمانية) كانت دموعاً صادقة ؛ لأن الرجل لم يتعود أن يرى فاتحاً يعف عن ثمرات فتوحه .
واشتد فيلبي في بعض كتبه على رجال من ثقات الملك همزاً ولمزاً ، وفيهم أبرياء مما وصمهم به .
قال لي السفير الأميركي المستر تشايلدز بعد أن قرأ كتاب فيلبي «أيام في البلاد العربية» :إن صح ما يقوله فيلبي عن نفسه فهو الشخص الوحيد الذي لم يخطئ له رأي طول حياته .
وتردد عنه حبه لأن ينعت بالمستشار غير الرسمي للملك عبدالعزيز .. ولكن عبدالعزيز لم يقر هذا ، وحسبه صداقته .
وكان فيلبي عالماً بحاثاً أثرياً ، يخطئ ويصيب ككل متصد لما تصدى هو له ، كتب كثيراً عن بلاد العرب ، وصنف كتباً لها قيمة علمية ، وانجرف إلى هوة في قضية فلسطين ؛ تقدم حديثها قضت على سمعته السياسية عند العرب خاصة .
وليس هذا كل ما يقال عن فيلبي ، فالحديث عنه يطول» .
(١) يعني أن الملك يتحفظ في الحديث مع فيلبي .
(٢) راجع الزركلي/ مرجع سابق ص ١٣٥٨ . قال أبو عبدالرحمن : ترجمة الدكتور شيا لهذا النص كما يلي : «يصف غرافتي سميث المشهد الذي بات نمطاً يلحظه في زياراته كلها .. أصوات شجية لخمسة رجال عميان يرتلون القرآن .. إلى الحنين الدائب لدواليب المياه .. وفي الخلف الحارس ==

....

== الشخصي لابن سعود بثيابه الحريرية الفاتنة المذهبة والمطرزة .
ويمضي في وصف إحدى مآدب ابن سعود ، وهي نموذج لغيرها ، ولم يكن ابن سعود أكولاً كبيراً .. وفي مقابل أطباقنا المتنوعة فضَّل هو إبريقاً كبيراً من حليب النوق الساخن يسكب له ببطء .
ويسلب الملك كعادته لب زواره بهداياه القيمة .. إلا أنه كان مندهشاً هذه المرة بالهدية التي قدمت له؛ فقد أهداه نائب الملك قرآناً جميلاً مزيناً بالزخارف .
لم تفت ابن سعود لفتة نائب الملك الذي خلف على الهند النائب السابق الذي تجاهل محاولة والده سنة ١٩٠٢م ، لإنشاء علاقات وثيقة بين بريطانيا وآل سعود .
وفي تموز ١٩٤٥م استقبل الملك زائراً آخر من إنجلترا عندما استطاع فيلبي أن يستعيد حريته ويتوجه من إنجلترا إلى القاهرة .. أرسل الملك طائرته الخاصة لنقله من القاهرة إلى الرياض ، وبات في وسع فيلبي أن يستأنف حياة لا تتضمن دفع الضرائب ، وتؤمن له سكناً وسفراً جوياً مجانياً ؛ حيث لا حاجة لتسجيل سيارته ، ويأكل من مطبخ الملك .. حتى لا نذكر لقاءاته وعدداً من الصبايا الشابات بين الحين والحين .
كان ابن سعود كما يبدو ، مقتنعاً بصدق (وكما قال لأناس كثيرين) : أن فيلبي إنما ترك الوظيفة في الحكومة البريطانية ليكون في خدمته هو .. وذلك هو ما يعتقده الناس (بحسب الزركلي) سبباً للمعاملة اللطيفة الدائمة من ابن سعود لفيلبي .
لم يكن ليجهل بالتأكيد أخطاء فيلبي ، ولا غافلاً كذلك عن الحاجة إلى الحذر ، ويذكر الزركلي كيف كان الملك غالباً أو بمجرد رؤيته لفيلبي داخلاً المجلس يغير الموضوع الذي يتحدث فيه» .